الباب الثالث : في تكامل الحضارات

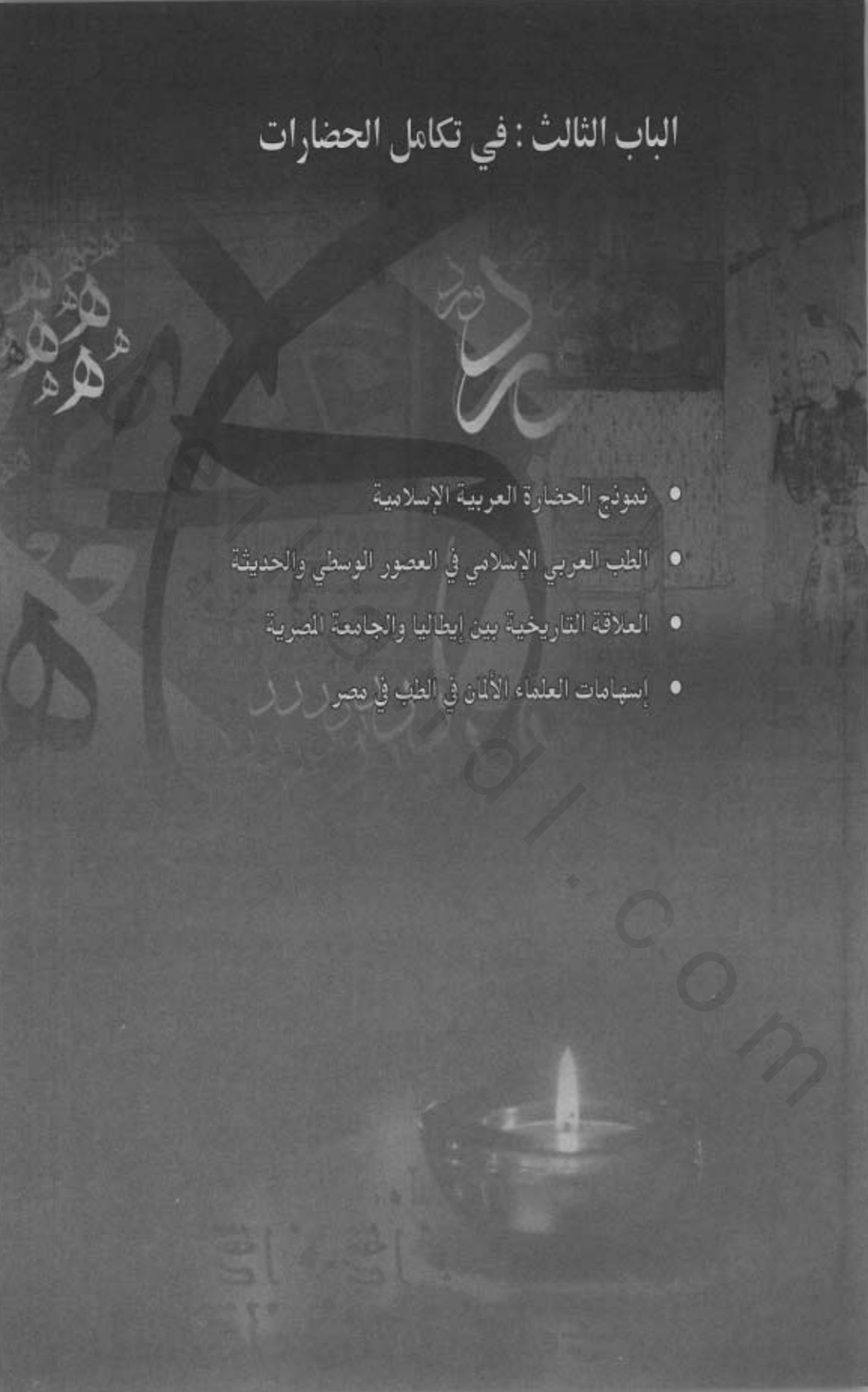

- نموذج الحضارة العربية الإسلامية
- الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطي والحديثة
- العلاقة التاريخية بين إيطاليا والجامعة المصرية
- إسهامات العلماء الألمان في الطب في مصر

obeikandl.com

نموذج الحضارة العربية الإسلامية

كانت الحضارة الإسلامية ولا تزال تسعى للتعرف على الحضارات الأخرى بصورة موضوعية لتفهم مشكلاتها وآمالها وتطلعاتها والاستفادة مما لديها من خبرات ومعارف التزاما بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فى أى مكان أخذها" ومن قول مأثور: (اطلبوا العلم ولو فى الصين).

وهذا يبين أن الحضارة الإسلامية كانت منذ البداية حضارة منفتحة على كل الحضارات والثقافات دون تمييز بين أى منها بسبب الجنس أو اللون أو الدين، وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد استفادت من الحضارات السابقة، فإنها قدمت بعد ذلك عطاءها الحضارى الغزير إلى كل الأمم والشعوب دون أن تحجب منه شيئاً؛ إيماناً منها بأن التراث الإنسانى أخذ وعطاء، وأنه لا توجد أمة عريقة فى التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث.

والإسلام دين السلام، يكفى أن السلام هو اسم من أسماء، الله وقد ورد فى قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ [الحشر: ٢٢] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: ٩٤] وأول مرحلة من السلام فى تاريخ الإسلام هى العهود والمواثيق الشهيرة. لعل فى مقدمتها: الميثاق الذى أعطى لنصارى نجران، والميثاق الذى أعطى لقبيلة تغلب ووصية الخليفة أبى بكر الصديق لأسامة بن زيد، والميثاق الذى أعطاه خالد بن الوليد لأهل دمشق، والميثاق الذى أعطاه عمرو بن العاص لأقباط مصر؛ وفى هذه المواثيق أمن المسيحيون على كنائسهم وصوامعهم ورهبانيتهم وأملاكهم وأرواحهم.

ونذكر هنا فى مصر أنه عندما أتى عمرو بن العاص إلى مصر كان البابا

القبطى بنيامين منفياً ثلاثة عشر عاماً بعيداً عن كرسيه، فأمنه عمرو بن العاص وأعاده إلى كرسيه وأسلمه كنائسه التى أخذها منه الروم وعاش معه فى سلام[١].

وفى الدولة الطولونية، فإن جامع أحمد بن طولون بناه سعيد بن كاتب الفرغانى وهو مهندس مسيحى طلب منه أحمد بن طولون أن يبنى مسجده بغير أعمدة تمنع النظر.

نرى أيضاً من سماحة الإسلام ما قيل من كلمات طيبة عن أهل الكتاب فى قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]

وقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]

وفى الحديث عن السيد المسيح قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

ولا ننسى العلاقة الطيبة التى قدم لها مثالاً الخليفة عمر بن الخطاب عندما دعى للصلاة فى كنيسة القدس فاعتذر عن ذلك وقال: (لئلا يأتى المسلمون من بعدى ويأخذونها منكم ويقولون هنا مسجد عمر) وصلى على بعد رمية حجر من الكنيسة وأنشئ فى ذلك المكان جامع عمر. إنها روح طيبة عاش بها الإسلام مع غير المسلمين. ولعل من النقاط البارزة فى القرآن مبدأ مهما هو أنه لا إكراه فى الدين فقد ورد فى قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، من أجل هذا كانت المجادلة فى أمور الدين بالتى هى أحسن وهذا مبدأ من مبادئ التسامح كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

وغير خاف على أحد أن الحضارة الإسلامية التى انطلقت من تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه، والتى قدمت عطاء ثريا للإنسانية؛ تتعرض اليوم لحملة ضارية من

التزييف والجحود ونكران الجميل، مما يعطى للأجيال الجديدة انطباعاً زائفاً يلصق بهذه الحضارة كل صفات العدوان والتدمير، ويجردها من كل القيم الإنسانية الرفيعة التى أرست قواعدها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان. المجتمع الإسلامى يعيش فى رحلة تناغم وتناسق إيماناً بالتعددية الدينية، والتعددية الحضارية، والتعددية التشريعية، والتعددية الثقافية، والتعددية الفكرية، لأن الله شاءت حكمته أن تكون الأحادية هى للذات الإلهية، وما دون ذلك إنما تكون للتنوع والاختلاف. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بأن يوفوا بعهودهم لمن عاهدوا سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]. ولقد دعا الإسلام إلى التعايش بين الناس بالتعاون والتسامح، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]

فالإسلام يقر التعددية الدينية والثقافية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨] وحينما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة أرسى قواعد التعددية وكتبها فى صحيفة أعطت المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم من البشر حق ممارسة أديانهم وثقافاتهم. واستمر المسلمون على هذا النهج منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا لا يكرهون أحدًا على دين أو على ثقافة معينة. ومن منطلق الأهمية البالغة بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان ــ على الرغم من الاختلافات فيما بينها ــ كانت دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان، وذلك لما للأديان من تأثير فى النفوس. ويعد الإسلام أول دين يوجه هذه الدعوة واضحة صريحة فى قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فالبشر جميعهم عائلة واحدة من أب واحد، وهم جميعًا ورثة تلك الخلافة فى إعمار الأرض، ونشر الأمن والسلام، وإن سفك الدماء وفساد الأرض مسلك بغيض لا يريده الله سبحانه وتعالى من البشر على مختلف أديانهم، ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣٢].

ولأقباط مصر كبير الشأن والمنزلة عند كل المسلمين عامة، ومسلمى مصر خاصة، فقد روت أم سلمة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: "الله فى قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانا فى سبيل الله"[٢].

وقال ﷺ فى حديث آخر "إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحما". وفى رواية: "فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما"، أو قال: "ذمة وصهرا" وفى رواية: "إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط"[٣].

وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المؤمنين القليلين الذين أمعنوا النظر فى تاريخ العرب، يقول ــ على سبيل المثال ــ روبرتسن فى كتابه "تاريخ شارلكن": "إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وأنهم مع امتشاقهم التسامح نشرًا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارًا فى التمسك بتعاليمهم الدينية"[٤].

ومن الجدير بالذكر، أن المسلمين المعاصرين هم أول من طرح فكرة الحوار بين الحضارات والثقافات على الصعيد الدولى، فلقد سبق للرئيس الإيرانى السابق محمد خاتمى، أثناء فترة رئاسته لمؤتمر القمة الإسلامى، أن طرح على الأمم المتحدة، تبنى فكرة الحوار بين الحضارات والثقافات، حيث أثمر هذا المسعى، بإصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بجعل سنة ٢٠٠١ سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات[٥].

والحضارة الإسلامية نوعان: الأول حضارة إسلامية أصيلة وتسمى حضارة الخلق والإبداع، وقد كان الإسلام مصدرها الوحيد، وعرفها العالم لأول مرة عن طريق الإسلام، الثانى حضارة قام بها المسلمون فى الأمور التجريبية امتدادًا وتحسينًا، كما عرفها الفكر البشرى من قبل، وتسمى حضارة البعث والإحياء[٦].

فالحضارة الإسلامية بهذا المفهوم الجامع الشامل العميق، هى إرث مشترك بين جميع الشعوب والأمم التى انضوت تحت لوائها، وشاركت فى بنائها وأسهمت فى عطائها، وهى الشعوب والأمم التى كونت وشائج الأمة الإسلامية ونسيجها المحكم. وتنفرد الحضارة الإسلامية بعدة خصائص تكسبها الطابع المميز لها بين الحضارات الإنسانية المتعاقبة، فهى:

- حضارة إيمانية انبثقت من العقيدة الإسلامية.
- حضارة إنسانية المنزع عالمية فى آفاقها وامتداداتها.
- حضارة معطاءة، أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية التى عرفتها شعوب العالم القديم، وأعطت عطاء زاخرًا بالعلم والمعرفة والفن الإنسانى الراقى، وبقيم الخير والعدل والمساواة والفضيلة والجمال.
- حضارة متوازنة وازنت بين الجانب الروحى وبين الجانب المادى، فى اعتدال.
- حضارة باقية بقاء الحياة على وجه الأرض، تستمد بقاءها من الإسلام الذى قامت على أساس مبادئه[٧].

لقد احترم الإسلام الديانات السماوية والكتب السماوية الأخرى، ومن أولويات اهتمامات الحضارة الإسلامية التعرف على الحضارات الأخرى وتفهم مواقفها والاستفادة بما لديها من خبرات ومعارف انطلاقا من موقف إسلامى ثابت يتمثل فى قول الله تعالى عن أهل الكتاب:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣ – ١١٤].

وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ ﴾ [المائدة: ٤٦].

أما في حالة الحرب فللإسلام موقف واضح للذود عن الوطن والعرض، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومع ذلك جاء في نفس الآية قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنفال: ٦١].

فالإسلام يقر التعددية الدينية والثقافية، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ

وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨].

لقد خاطب الرسول ﷺ اليهود فقال: "نحن أحق وأولى بموسى منكم"، وقال عن عيسى عليه السلام "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الأولى والآخرة".

ويقول جورج سارتون، أشهر مؤرخ لمسيرة العلم: "لا يسعنا إلا أن نعترف بالفضل لسابقينا من علماء العرب والمسلمين، وبخاصة الرواد منهم فى الفترة من القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر، لقد نقلوا لنا كنوز الإغريق وحكمتهم، كما نقلوا لنا كثيرًا من كنوز إيران والهند، وأضافوا ما لديهم إلى كل ذلك. لقد مكنونا من أن نبنى لأنفسنا، نحن أبناء الغرب، تقاليد حضارية ثقافية، هى أغلى تراث ورثناه من أسلافنا فى العلم، من مختلف الأجناس ومختلف العقائد ومختلف الشعوب، إنهم بطبيعة الحال لم يكونوا يفكرون فينا، ولكن هل نفكر نحن كثيرًا فى خلفنا؟

إن خير ما نشكر به أسلافنا ونحيى ذكراهم به، هو أن نكمل ما بدأوا من عمل جليل، وأن نسير على طريقهم فى صبر وأناة وثقة وأمانة[٨]."

إننا نؤمن بأن الحضارة الإسلامية هى حضارة المستقبل، ولكننا نؤمن أيضًا، بأن واقع الأمة الإسلامية اليوم بلغ درجة من الضعف والتمزق تتطلب أن نضاعف الجهد، لتدارك ما ضاع منا من فرص النماء والبناء، لأن المستقبل يبنى بالعمل والإبداع والتفوق فى كل مجالات الحياة[٩].

وعن حقيقة سماحة التحرير الإسلامى لشعوب الشرق يقول الأسقف "يوحنا النقيوسى" فى أقدم تاريخ للفتح الإسلامى لمصر: (ودخل الأنبا "بنيامين" بطريرك المصريين مدينة الإسكندرية بعد هروبه من الروم فى العام ١٣ (أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه)، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكس على يد البابا "كيرس" البطريرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر وهلك الروم لهذا السبب وساد المسلمون مصر)[١٠].

المستشرق الإنجليزى "سير توماس أرنولد" (١٨٦٤- ١٩٣٠) يقول فى كتابه

(الدعوة إلى الإسلام): "إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوروبا قبل الأزمنة الحديثة وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح"[١١].

ويقول يعقوب نخله إنه عندما عاد الرومان إلى احتلال الإسكندرية سنة ٢٥هـ ٦٤٦م: فى عهد عثمان بن عفان (٢٤ق. هـ - ٣٥هـ ٥٣٧ - ٦٥٦م): (فإن المقوقس والقبط تمسكوا بعهدهم مع المسلمين، ودافعوا عن المدينة - الإسكندرية - ما استطاعوا؛ واجتمعت كلمة القبط والعرب على أن يطلبوا من الخليفة أن يأذن لعمرو بن العاص فى العودة إلى مصر لمقاتلة الروم لتدربه على الحرب وهيبته فى عين العدو، فأجاب الخليفة طلبهم، وكان القبط يحاربون مع العرب ويقاتلون الروم خوفًا من أن يتمكنوا من البلاد ويأخذونها فيقع الأقباط فى يدهم مرة أخرى)[١٢].

بالمقابل ماذا كان يفعل الآخر:

١- أوربا فى القرون الوسطى: أنصار الكنيسة الأرثوذكسية قاموا بالتضييق والتشديد على بعض المذاهب غير النصرانية وخاصة على مذهب أرسطو الفلسفى وأغلقت مدرسة أصحاب أرسطو بأمر من الإمبراطور زينون سنة ٤٨٩م، وأغلق بعده الإمبراطور البيزنطى جتنيان سنة ٥٢٩م. المدرسة الفلسفية الأخيرة فى أثينا وهى مدرسة الأفلاطونية الجديدة. واضطر الفلاسفة من اتباع الأفلاطونية الجديدة وأصحاب أرسطو المنتمون إلى الدوائر النسطورية إلى اللجوء إلى إيران الساسانية وتأسست هناك مدرستان فلسفيتان فى نصيبين وجنديسابور. وعندما كانت أوربا النصرانية تواصل معاقبتها لأصحاب الآراء الأخرى والكنيسة تعاقب مدرسة أرسطو نرى فى العالم الإسلامى مشهدا آخر: تترجم مؤلفات أفلاطون وأرسطو من السريانية إلى العربية فى "دار الحكمة" التى أسسها الخليفة المأمون فى القرن التاسع فى بغداد. وحاول المأمون إعلان حرية الاعتقاد التامة لأهل

الذمة عام ٢٠٠/ ٨١٠ إذ كان يقول: كل جماعة تعتقد دينا وتتألف من عشرة أنفار لها حق أن تختار لها زعيمًا روحانيًا يعترف به الخليفة[١٣].

٢- القدس تحت حكم الفرنجة: استمر حكم الفرنجة للقدس ثمانية وثمانين عامًا (١٠٩٩- ١١٨٧) فماذا فعلوا؟ يقول المؤرخ الغربى (فوسديك) "لقد اقترف الصليبيون خطيئات لا تغتفر فى الأرض المقدسة، فقد انحطوا إلى درجة التهتك الممزوج بالأنانية والحقد وسفك الدماء، فانقلبت حربهم المقدسة إلى نهب وسلب وقتل وتدمير، فقد اقترفوا فى طريقهم إلى القدس أفظع الآثام التى دونها التاريخ فى سجل السكر والدعارة والفجور، وكانوا يضعون أجساد المسلمين فى أصفاد حديدية ويشوونهم فى النار، وما فعلوه فى القدس يفوق الخيال؛ فقد استباحوا المدينة ثلاثة أيام، قتلوا، وذبحوا المسلمين دون رحمة، ولم يفرقوا بين صغير وكبير"[١٤].

ويقول المستشرق الألمانى ول ديورانت: "إن النساء كن يقتلن طعنًا بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يخطفون من أحضان أمهاتهم ويقذفون من فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وقد ذبح المسيحيون كل من تبقى من المسلمين فى المدينة، أما اليهود فقد سبقوا إلى كنائسهم، حيث حبسوا فيها ثم أشعلت فيهم النيران وهم أحياء"[١٥].

"أما ما حدث للمدينة نفسها، فقد جرى إنزال الهلال عن قبة الصخرة المشرفة، ورفع عليها صليب، وتم تحويلها إلى كنيسة، بعد أن أزيلت كل الآيات القرآنية والزخارف الإسلامية، وجرى تحويل المسجد الأقصى إلى مخزن للأطعمة فى جزئه العلوى، وإسطبل للخيول فى الطوابق السفلية، وتحولت المساجد الإسلامية إلى مقاه وخمارات وحانات، كذلك فعل بالكنس اليهودية والكنائس والممتلكات الشرقية"[١٦]. لقد غضبت الكنيسة الإسبانية لانتشار فلسفة ابن رشد وأفكاره خاصة بين اليهود، فصبت غضبها على اليهود والمسلمين معًا، فطردت كل يهودى لا يقبل المعمودية، وأباحت له أن يبيع من العقار والمنقول ما يشاء بشرط ألا يأخذ معه ذهبًا ولا فضة وإنما يأخذ الأثمان عروضًا وجوالات، وهكذا

خرج اليهود من إسبانيا تاركين أموالهم لينجوا بأرواحهم. وحكمت الكنيسة كذلك سنة ١٠٥٢م على المسلمين (أعداء الله) بطردهم من أشبيلية وما حولها إذا لم يقبلوا المعمودية بشرط ألا يذهبوا فى طريق يؤدى إلى بلاد إسلامية ومن خالف ذلك فجزاؤه القتل[١٧].

إن القرآن الكريم أقر مبدأ الحوار بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى وحتى المشركين، وأمر الله تعالى الرسول ﷺ بأن يستعمل أسلوب الحوار القائم على الدليل والبرهان. إن الإسلام لم يأت ليحل محل جميع الأديان ويلغيها، فالتعددية الدينية والثقافية قد رسخها النبى ﷺ فى دستور المدينة كما أكدها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

فالإسلام لا يحول بين المسلمين وبين أن يتعارفوا مع غيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى على المشاركة فى التقدم البشرى فى المجالات الإنسانية والعلمية والاقتصادية.

العلمانية: ترجمة لكلمة (Secularism) الإنكليزية وهى ترجمة غير دقيقة لأن هذه الكلمة لا صلة لها بالعلم ومشتقاته على الإطلاق. إذ العلم بالإنكليزية والفرنسية يعبر عنه كلمة (Science) والاتجاه العلمى يطلق عليه (Scientism)، والنسبة إلى العلم هى (Scientfic) بالإنكليزية و (Scientifique) بالفرنسية. والترجمة الصحيحة لكلمة (Secularism) هى اللادينية أو الدنيوية بمعنى ما لا صلة له بالدين أو ما يضاد الدين. وترجمة الكلمة بالعلمانية نتج عن فهم المترجمين للدين كما فهمه الغربيون من وجود تضاد بين الدين والعلم فاعتبروا ما هو لا دينى علميًا فسموه علمانيًا. وقد أخطأوا فى ذلك وربما قصدوا ذلك تزييفًا وتحريفًا أو تحببًا لكلمة العلمانية للمسلمين المعروفين بأنهم يحبون العلم ونتائجه منذ القدم.

وفكرة العلمانية نتجت من الصراع المرير الطويل بين سلطة الكنيسة وتعليماتها وبين رجال الدولة والعلم.. وساعدهم ذلك عدم اشتمال المسيحية على

الأحكام وإنما على الطقوس والناحية الروحية فقط، مع ما نسب إلى المسيح عليه السلام فى الإنجيل من مقولة (دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر) وذلك لا ينطبق على الإسلام لأنه من المعروف لدى كل مسلم يحمل أدنى ثقافة إسلامية أن الإسلام لا يقتصر على الناحية الروحية فقط بل يتضمن أرقى القوانين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بكافة نواحيها وجزئياتها والتى فيها منتهى العدالة الاجتماعية، ولم يعرف منذ فجر الإسلام عداء بين المسجد ورجال الدولة والعلم، بل العلم ورجال الدولة انطلقوا من المسجد ومن تعاليم القرآن الكريم.. وكثير من نصوص الإسلام كما هو معروف تدعو إلى العلم والتعلم وأول اية نزلت فى التعلم هى قوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] بل لم يساو الإسلام بين العلماء والجهلاء فى المستوى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

ويقول الدكتور صوفى أبو طالب "اعتمد التراث الغربى على العقل البشرى وحده فكانت حضارة علمانية بحتة. أما الحضارة الإسلامية فإنها تعتمد على التراث الحضارى المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولا تفصل بين الدين والدولة ولذلك يمزج تراثها الحضارى بين الإيمان والعقل، بين الدين والعلم، ويضع حدوداً لمجال كل منهما. وهذا الاختلاف فى أصول الحضارتين ــ الإسلامية والغربية ــ لا يعنى بالضرورة تناقص الأحكام التى تنظم الأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها من الأمور الدنيوية، ولا تناقض المبادئ التى تحكم أمور العقيدة والعبادة، فالواقع فى نقاط التلاقى أكبر بكثير من نقاط الاختلاف ــ كما سنرى ــ والتصادم بين الحضارتين تولد من تفسيرات مغلوطة للتراث الحضارى من كلا الجانبين، ويزيد من حدته عدم اعتراف اليهودية والمسيحية بالإسلام واعتباره ديناً وثنيًا يقوم على العنصرية والتعصب واضطهاد غير المسلمين. فقد تبنت الأحزاب اليمينية فى أوروبا وأمريكا سياسة الاضطهاد الدينى والعنصرى، واستباحت اللجوء إلى القوة ضد الأقليات التى تعيش معهم. وهذه السياسة ــ فى جوهرها ــ استمرار لتفسير مغلوط لبعض آيات الإنجيل (إنجيل متى الإصحاح ١٠: ٣٤- ٣٦) ظهر فى القرن الخامس الميلادى على يد القديس أوجسطين وتبناه الباباوات فيما بعد، ومضمونه اعتبار الحروب

ضد غير الكاثوليك حروبًا مقدسة وضحاياها من الكاثوليك من الشهداء. وكان هذا التفسير هو المبرر الدينى لقيام الحروب الصليبية منذ القرن الحادى عشر الميلادى، واستعمل ذات التفسير لتبرير إبادة المسلمين فى الأندلس وإجبارهم على التحول عن دينهم. وبالرغم من قيام الثورة الفرنسية ومناداتها بمبادئ الحرية والمساواة والإخاء إلا أن التفسير القديم وقر فى عقول وضمائر بعض السياسيين والقادة العسكريين الأوروبيين، وظهر ذلك بوضوح أثناء الحرب العالمية الأولى حينما أعلن الجنرال الإنجليزى اللنبى حينما دخل القدس فى ١٩١٧/١٢/٩ "الآن انتهت الحروب الصليبية". وذات المعنى ردده الجنرال الفرنسى جورو حينما دخل دمشق فى ٢٩ يونيو ١٩٢٠، إذ توجه إلى قبر صلاح الدين وقال: "ها قد عدنا يا صلاح الدين" وهذا الشعور العدائى ضد المسلمين لا يخفيه اليوم بعض قادة أحزاب اليمين فى أوروبا وأمريكا، ومن أمثلة ذلك ما أعلنه رئيس أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أنها حرب صليبية. وهذا الاتجاه العدوانى والاضطهاد الدينى يخالف الروح العامة والنصوص الصريحة فى الإنجيل، التى تأمر بالمحبة والتآخى والنظر إلى الحروب على أنها قتل جماعى (إنجيل متى ٥: ١- ٤٨). وذات المسلك العدوانى ضد المسلمين والعرب عمومًا نجده واضحًا لدى الصهاينة اعتمادًا على تفسيرات التوراة والكتب التاريخية المقدسة وعلى رأسها سفر يشوع (الإصحاح ٨).

ولقد تلاقت الحضارة الإسلامية مع الحضارة الغربية أكثر من مرة: أولها إبان الفتوحات الإسلامية، وثانيها، إبان حركة الترجمة الكبرى خلال العصر العباسى حيث ترجمت إلى العربية كنوز المعرفة والعلم إلى اللغة العربية، وتلاقت مرة ثالثة إبان الحروب الصليبية، وكانت المرة الرابعة من خلال الأندلس حيث ترجم الأوروبيون كتب المسلمين إلى لغتهم واعتمدوا عليها فى عصر النهضة، والمرة الخامسة كانت أيام الفتح العثمانى لأوروبا الشرقية، وكانت المرة الأخيرة فى إبان عهد الاحتلال، وباستثناء التلاقى الأخير كان النصر حليف المسلمين[١٨].

ويقول الدكتور صوفى أبو طالب "وقد أسفر تلاقى الحضارتين الإسلامية والأوروبية فى دار الإسلام عن عدة نتائج إيجابية فى بعض الجوانب، وأكثرها وخيم العواقب. ويدخل فى النوع الأول: اطلاع المسلمين على منجزات الحضارة

الأوروبية وخاصة فى الجانب المادى منها، وكيفية الإفادة منها، و"تحديث" النظم الحضارية بما يوافق تطورات العصر، ونتج عن ذلك ظهور فنون كثيرة فى البلاد الإسلامية نما بعضها على مر السنين مثل المسرح والسينما ووسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون... إلخ، كما ترسخت أفكار غربية لها جذور فى الفكر الإسلامى مثل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ونظام الأحزاب السياسية. أما الجانب السلبى لتلاقى الحضارتين فيظهر فى أمور كثيرة منها: تفتت العالم الإسلامى، وتباين نظمه الحضارية تبعًا لحضارة الدولة المستعمرة، فى وقت اتجهت فيه أوروبا إلى نظام الدولة القومية. وتجاوزت نظام الوحدات السياسية الصغيرة التى تخلفت عن النظام الإقطاعى الأوروبى.. ربط ثقافة ونظم العالم الإسلامى بنظيرها الأوروبى، وامتد ذلك إلى كل مظاهر الحياة اليومية من مأكل وملبس ومشرب.. الخ، وهى مظاهر ــ كما يقول ابن خلدون فى مقدمته ــ يتشبه فيها المغلوب بالغالب.. ازدواج النظم ما بين إسلامى وأوروبى فى القانون والأخلاق والاقتصاد.. الخ.. تعميق جذور الحضارة الأوروبية على حساب الحضارة الإسلامية على مدى قرابة قرنين من الزمان، نتيجة لانبهار القائمين على الأمور بمنجزات الحضارة الأوروبية فنقلوا عنها نقلاً أعمى باسم "التحديث"، وأخطر الآثار السلبية يظهر فى تفسخ الشخصية الإسلامية، وتبلبل أفكار الناس. ذلك أن الحضارة الأوروبية ــ كما سبق القول ــ اعتمدت فى انطلاقها على تراث ثقافى ودينى وأخلاقى مستمد من الإنجيل ومن الفلسفة الإغريقية والقانون الرومانى، وهذا التراث يفصل بين الدين والدولة، وهو ما يعرف بالاتجاه العلمانى، أما الحضارة الإسلامية فإنها تستمد فلسفتها من الكتاب الكريم والسنة النبوية، وتجمع بين الدين والدولة. وهذا الاختلاف أدى إلى حدوث ردود فعل متباينة ما زالت تسود العالم الإسلامى حتى اليوم أهمها: تيار علمانى انبهر بمنجزات الحضارة المادية الأوروبية وتشربها باسم "التحديث" وعلى النقيض من ذلك ظهر تيار سلفى يرفض الأخذ عن الحضارة الأوروبية خوفاً على الإسلام، وتجنباً لتشويه صورته ومسخه، وتوسط فريق ثالث من المفكرين بين الاتجاهين السابقين ويحاول التوفيق بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، فأجاز

استعارة بعض النظم الأوروبية التى تتفق مع الأصول الإسلامية مثل الديمقراطية لتشابهها مع الشورى ويرفض بعضها الآخر مثل مبدأ فصل الدين عن الدولة.

لقد رفضت الشعوب الإسلامية الانسلاخ من جلدها والانضواء تحت جناح الحضارة الغربية، بل اختارت منها ما يتفق مع أصولها الحضارية ورفضت ماعداها، فقبلت الجانب المادى من الحضارة الأوروبية ورفضت ما يمس الجوانب الدينية والاجتماعية فكانت الصحوة الإسلامية وتجدد الفكر الإسلامى بما يحفظ خصوصياته.

إن كبار المفكرين الإسلاميين الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والأوروبية كانوا جسوراً للاتصال بين الثقافتين فجمعوا بين الأصالة والمعاصرة، فأخذوا ما يتفق مع أصول الثقافة الإسلامية ونبذوا ماعدا ذلك.

ملحقات

العهود والمواثيق الإسلامية

١. **دستور دولة المدينة ــ الصحيفة ــ** نص هذا الدستور على أن "لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.. وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم.. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين، على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحصن من أهل الصحيفة دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه"[١٩].

٢. **دستور نصارى نجران:** عندما جاء وفد نصارى نجران سنة ١٠ هـ سنة ٦٣١م إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح لهم أبواب المسجد النبوى، فصلوا فيه صلاة عيد الفصح مولين وجوههم إلى المشرق.. ثم تركهم وما يدينون وعقد له عهداً عاماً ودائماً لهم ولسائر من يتدين بالنصرانية عبر الزمان والمكان.. ولقد جاء فى هذا الدستور: "ولنجران وحاشيتها ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية فى شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، جوار الله وذمة محمد

النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبتهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته وأن أحرس دينهم وملتهم أينما كانوا بما أحفظ به نفسي، وخاصتي، وأهل الإسلام من ملتي.

ولا يحملون من النكاح ــ الزواج ــ شططا لا يريدونه ولا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضارون في ذلك إن منعوا خاطباً وأبوا تزويجاً لأن ذلك لا يكون إلا بطيبة قلوبهم، وسماحة أهوائهم، إن أحبوا ورضوا به.

وإذا صارت النصرانية عند المسلم ــ زوجة ــ فعليه أن يرضى بنصرانيتها ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها ذلك، فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها، فقد خالف عهد الله، وعصى ميثاق رسوله.

ولهم ــ أي النصارى ــ إن احتاجوا في مرمة بيعهم، وصوامعهم، أو شيء من صالح أمورهم ودينهم إلى رفد (مساعدة) من المسلمين، وتقوية لهم على مرمها أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك ديناً عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله ﷺ وموهبة لهم ومنة لله ورسوله عليهم.

لأن أعطينهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام، والذب على الحرمة واستوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم.

واشترط عليهم: ألا يكون أحد منهم عينا ولا رقيباً لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيته، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم، ولا في شئ من مساكن عبادتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يرفدوا أحدًا من أهل الحرب على المسلمين بتقويتهم بسلاح ولا خيل ولا رجال غيرهم ولا يصانعوهم.

وإن احتاج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم، وعند منازلهم، ومواطن عبادتهم أن يؤووهم، ويرفدوهم، ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين،

وأن يكتموا عليهم، ولا يظهروا العدو على عوراتهم، ولا يخلوا شيئا من الواجب عليهم.."[٢٠].

رسالة الرسول إلى المقوقس: وعندما ذهب الصحابى حاطب بن أبى بلتعة (٣٥ ق.هـ ـ ٣٠ هـ/٥٨٦-٦٥٠م) حاملاً رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط بمصر (٧هـ ـ ٦٢٨م) تجلت هذه السماحة الإسلامية فى عبارات حاطب التى أعلنها أمام المقوقس عندما قال له: "إن لك ديناً ـ أى النصرانية ـ لن تدعه إلا إلى ما هو خير منه وهو الإسلام الكافى به الله فقد ما سواه، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا لك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به..."[٢١]

٣. **العهد العمرى:** كتبه عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ ـ ٢٣ هـ ـ ٥٨٤-٦٤٤م) وهو **عهد الأمان لأهل القدس** "إيليا عند فتحها ١٥ هـ ـ ٦٣٥م الذى قرر فيه: "الأمان لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها، وبريئها، وسائر ملتها، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولاينتقض منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود _ وفق ما طلبوا ـ وعلى أهل إيليا أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه، وماله مع الروم، ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وبيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.. وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله، وذمة ورسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين.."[٢٢].

خـــاتمة

إننا نعيش اليوم فى عالم اهتزت فيه كثير من القيم والمعايير الإنسانية المتعارف عليها واختلطت فيه الأوراق وتاهت فيه معالم الطريق، إن الحضارة الإسلامية تتعرض اليوم لحملة ظالمة كاذبة قاسية وضارية من الجحود ونكران الجميل والتزييف المتعمد، لتجريدها من القيم الإنسانية الرفيعة والعلوم التى أرست قواعدها على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان، بالرغم من علمهم بحقيقة الإسلام وتسامحه الفريد مع كل الأمم والشعوب والحضارات والأديان.

obeikandl.com

المراجع:

١. قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية ــ مؤتمر التسامح فى الحضارة الإسلامية ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة فى ٢٨/٤-١/٥/٢٠٠٥.

٢. الهيثمى فى مجمع الزوائد ج١٠ ص٦٢.

٣. حديث بروايتيه فى صحيح مسلم رقم ٢٥٤٣ باب وصية النبى صلى الله عليه وسلم بأهل مصر وفى سند أحمد ج٥ ص١٧٤.

٤. جوستاف لوبون، كتاب حضارة العرب هامش من صفحة ١٢٨.

٥. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية إيسيكو، كتاب الأبيض للحوار بين الحضارات الرباط ٢٠٠٢.

٦. د. أحمد شلبى، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج١، ص٥٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٧.

٧. د. عبد العزيز التويجرى، التفاعل المتبادل والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الخرى، مؤتمر التسامح فى الحضارة الإسلامية ٤٨/٤-١/٥/٢٠٠٤، القاهرة.

٨. جورج سارتون، باب العلم الإسلامى ــ كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته تحرير ت. كويلرينج ص١٤٠، سلسلة الألف كتاب، القاهرة ٢٠٠٠.

٩. د. عبد العزيز التويجرى ٢٠٠٤.

١٠. يوحنا النقيوسى، تاريخ مصر، رؤية للفتح الإسلامى ص ٢٠١-٢٢٠ ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبد الجليل، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠.

١١. سير توماس أرنولد (الدعوة إلى الإسلام، ص ٧٢٩-٧٣٠، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين النحراوى، طبعة ١٩٧٠.

obeikandl.com

١٢. يعقوب نخلة، تاريخ الأمة القبطية، ص ٥٤-٥٧، طبعة مؤسسة مار مرقص لدراسة التاريخ، القاهرة ٢٠٠٠.

١٣. آدم متزه، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ج١، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده، بيروت ١٩٦٧، ص٨٢.

١٤. Harry Emerson Fosdic, a pilgrimage to Palestine, p. 256

١٥. د. حمد أحمد عبد الله يوسف، بيت المقدس من العهد الراشدى وحتى نهاية الدولة الأيوبية، أطروحة دكتوراه، القدس ١٩٨٢، ص ٢٥٦.

١٦. د. عبد الرحمن عباد، بالهند مؤتمر التسامح فى الإسلام، القاهرة ٢٠٠٤.

١٧. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ــ الطبعة الثامنة ص ٣٦- ٣٧.

١٨. د. صوفى أبو طالب، مؤتمر التسامح فى الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٨/٤-١/٥/٢٠٠٤.

١٩. د. محمد حميد الله أبادى. مجموعة الوثائق للعهد النبوى والخلافة الراشدة، طبعة القاهرة، ١٩٥٦.

٢٠. المرجع السابق.

٢١. ابن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٤٦ طبعة ليون سنة ١٩٢٠.

٢٢. د. محمد حميد الله أبادى. مرجع سابق.

obeikandi.com

obeikandl.com

الطب العربى الإسلامى
فى
العصور الوسطى والحديثة*

غالبًا ما يستخدم المؤرخون الطبيون صفتى "إسلامى" و "عربى" بالتبادل، للتعبير عن كل من الإيمان واللغة اللذين لعبا أدوارًا رئيسة فى تجسيد ما أصبح يعرف بالطب العربى الإسلامى.

يجدر بنا الإشارة إلى أن مصطلح طب العرب يجب أن يفهم مرادفًا للطب الإسلامى، حيث إن لغة التعلم فى إمبراطورية الإسلام كانت العربية، مثلما كانت اللاتينية الوسيط اللغوى للمتعلمين فى أوروبا الغربية.

وبعد ظهور الإسلام، حمل العرب الدين الجديد لجميع أنحاء الأرض. فقد اختلطوا مع الشعوب المجاورة وتبادلوا معهم البضائع، والحرف، والأفكار. كما امتزجت الممارسات والتقاليد الفارسية والهندية بالطب المتعارف عليه بشبه الجزيرة وتركت بصمة خالدة، إلا أن الطب اليونانى فى الأساس أثرّ بل هيمن تقريبًا على الفكر الطبى العربى وممارسته، خاصة بعد ظهور الإسلام.

وعرف الأطباء العرب الطب اليونانى حصريًا خلال عمل العلماء المسيحيين، وفى مطلع القرن الرابع بعد الميلاد، أسست مدرسة طبية فى جندى سابور فى جنوب غرب بلاد فارس على يد الملك الساسانى سابور الثانى، ونمت باطراد من خلال إسهام الفلاسفة اليونانيين المثقفين اللاجئين من أثينا والمسيحيين النسطوريين اللاجئين من الرها حيث رحل كلاهما بسبب تعصب الأباطرة البيزنطيين. وكانت

---

* ألقيت هذه المحاضرة فى: المؤتمر العالمى عن العالم الإيطالى: صلاح الدين دا أسكولى. والذى أنعقد فى مدينة فوجيا بإيطاليا، فى الفترة ما بين ٢٥-٢٦ مايو ٢٠٠٧م.

اللغة السريانية هى اللغة الرئيسة للتعلم بجندى سابور، كما تطورت اللهجة الآرامية من قبل السكان المسيحيين بسوريا وبلاد ما بين النهرين، والتى ترجم إليها العديد من الأعمال اليونانية فى الطب، والفلسفة، وعلم اللاهوت. كما جاءت الترجمة من اليونانية للعربية فى مرحلة لاحقة، سواء كانت الترجمة بشكل مباشر أو عبر اللغة السريانية.

وهناك علامتان مميزتان فى الإسهام المصرى للتاريخ الطبى العربى ألا وهما: مدرسة الإسكندرية المميزة للحقبة الرومانية، والمدرسة الإسلامية القاهرية المميزة لفترة حكم المسلمين بمصر.

سادت مدرسة الإسكندرية منذ القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع بعد الميلاد. ولقد انقسمت تلك الفترة إلى مرحلتين هما (٣٠٦-٣٠ قبل الميلاد) و(٣٠ قبل الميلاد ــ ٦٤٢ ميلاديا) وقد تميز عصر مدرسة الإسكندرية فى مراحله الأولى بالعلوم الطبية والطبيعية؛ بينما كانت الفلسفة هى السمة السائدة فى مرحلته الثانية. وقد أجيز تشريح الجثث البشرية لأول مرة، خلال حكم بطليموس الأول (٣٦٧-٢٨٥ قبل الميلاد).

حصر الإسكندرانيون أنفسهم فى الكتب الـ ١٦ لجالينوس. وكان يحيى النحوى العسقلانى الأطول عمرًا من بينهم، وقد امتدت حياته حتى الفترة الأولى من الإسلام. كما خصص عمرو بن العاص خلال حكمه لمصر مكانًا لتمييز أطباء مصر المتابعين لدراساتهم فى العلم والفن، وسلمه على التوالى للأجيال المتعاقبة. وكان نيليطيان واحدًا منهم. ولقد عُين أبًا للإسكندرية إبان عهد العباسيين وتم استدعاؤه من قبل الرشيد، لأجل عتق جارية مصرية.

كما يعد عبد المالك بن أبجر القناوى خريجا من مدرسة الإسكندرية، ومارس مهنته إبان عهد الأمويين، خلال حكم عمر بن عبد العزيز.

ويمكن تقسيم تاريخ طب العرب على نحو ملائم إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى تمثلت فى الترجمة من اليونانية للعربية، والمرحلة الثانية هى العربية، والمرحلة الثالثة من العربية إلى اللاتينية.

المرحلة الأولى: تمثلت فى فترة ترجمة الأعمال الفلسفية والعلمية اليونانية إلى العربية. بدأت تلك المرحلة فى القرن الثامن بعد الميلاد حين غطى الإسلام حوالى ثلثى العالم المعروف. وتم بالفعل الاتصال بالغرب عن طريق بيزنطة، وإسبانيا، وصقلية إبان عهد العباسيين، خلال حكم الخليفة المأمون. أسس "بيت الحكمة" الذى يُعَد شاهدًا ومعززا لجهد لم يسبق له مثيل فى ترجمة جميع كتب التعلم. كما تمت الترجمات الأولى من اللغة السريانية، وهى لغة الأطباء المسيحيين النسطوريين بجندى سابور، التى تعد بمثابة أقدم أكاديمية ومستشفى تعليمى بالعالم. ومن بين أكثر الأطباء تميزًا بجندى سابور كانت هناك عائلة بختيشوع التى تمثلت فى سلالة من الأطباء خدم أفرادها كأطباء شخصيين للخلفاء العباسيين. وقد نشطوا جميعًا فى تلك المهنة لأكثر من مائتى عام. وكان حنين بن إسحاق (٨٠٩-٧٣) أشهر المترجمين على الإطلاق وهو مسيحى نسطورى أصبح طبيبًا للخليفة المتوكل وحاشيته. ترجم هو وفريقه عددًا هائلاً من الأعمال الطبية لسقراط وجالينوس، بالإضافة إلى أعمال فلسفية لأفلاطون وأرسطو، وأعمال رياضية لإقليدس وأرشميدس. ازدهرت المستشفيات والمدارس الطبية خلال تلك الفترة فى بغداد أولاً ثم لاحقًا فى المدن الرئيسة، وواحد من أعظم تلك المستشفيات كان المستشفى المنصورى بالقاهرة. وفى ذلك المستشفى، لم يتم عزل الذكور والإناث فحسب، بل كانت هناك أجنحة معزولة للفئات المختلفة مثل الحمى، والدوسنتاريا والحالات التى تحتاج للتدخل الجراحى. بالإضافة إلى عدد من الجراحين والأطباء، بعضهم متخصصون، كان هناك خدم من كلا الجنسين، فريق إشراف هائل، مستوصف، مخازن، مسجد، مكتبة، وقاعات محاضرات مجهزة. كما قدمت الخدمات الطبية مجانا.

المرحلة الثانية: فقد الغرب احتكارهم للطب ووصل المسلمون العرب لمنزلة هيمنت على سابقيهم حينذاك ولحقوا بأعظم اليونانيين، وذلك عقب الفترة الأولى من الترجمة، حين أتيحت الأعمال الرئيسة لجالينوس وسقراط باللغة العربية. جدير بالذكر أنه لمدة خمسة قرون أى من ٨٠٠ إلى ١٣٠٠ بعد الميلاد حفظت الكتابات

الطبية العربية من كتابات أكثر من سبعين مؤلفًا، معظمهم من المسلمين ولكن تخللهم قليل من المسيحيين واليهود.

إسهامات الإمبراطورية الشرقية الإسلامية:

كان الرازى (٨٦٠-٩٢٦م) المعروف لدى الغرب باسم Rhazes أول رئيس لأول مستشفى أسس فى بغداد. ومن أعظم أعماله كتاب الحاوى، أى "الجامع" أو "الكتاب الشامل"، والذى يعد بمثابة موسوعة كاملة لكافة العلوم الطبية حتى ذلك الوقت. ودائمًا ما كان الرازى يحث على المعايير الأخلاقية الرفيعة فى تلك المهنة. ولا يزال كثير من أقواله المأثورة ذات صلة بالأطباء: "الأطباء اسمًا كثيرون، إلا أنهم قلة من الناحية العملية"، "الأطباء الجهلة قتلة"، "لا تعالج بالعقاقير ما يمكنك علاجه بالحمية، ولا تعالج بالعقاقير المركبة ما يمكنك علاجه بالعقاقير الأبسط تركيبًا" و "أولئك الذين يستشيرون أطباء عدة عرضة لأن يقعوا فى أخطاء كل واحد منهم".

وكان كتاب على بن العباس المجوسى (المتوفى ٩٩٤) المعروف باسم "الكناش الملكى" واحدًا من أقدم الكتب الطبية التى ترجمت إلى اللاتينية والتى لاقت رواجًا كبيرًا، وعرف فيها باسم "الكتاب الملكى".

كان الكندى (المتوفى ٨٧٤) طبيبًا عظيمًا وفلكيًا ومتخصصًا بالرياضيات وفيلسوفًا عظيمًا. انبثق من سلالة عربية أصيلة. ترجم كتابه "مختارات من الفن الطبي" من العربية إلى اللاتينية على يد جيرارد أف سيريمونا.

وربما يعد ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م) من أبرز الكتاب الذين كتبوا فى الطب بالعربية. أشاد ميرهوف بكتابه "القانون فى الطب" بوصفه "العمل الرائد للتنظيم العربى وذروته". ترجم ذلك الكتاب إلى اللاتينية فى القرن الثانى عشر وواصل مسيرته ليهيمن على دراسة الطب فى أوروبا حتى القرن الـ ١٦ على الأقل. يعد ابن النفيس Annals (المتوفى ١٢٨٨) واحدًا من الشارحين المميزين لابن سينا مارس عمله بالقاهرة، وكان أول من وصف الدورة الرئوية للدم.

إسهامات الإمبراطورية الغربية الإسلامية:

قدم كتاب وعلماء الأندلس إسهامات ملحوظة فى فكر وتعلم المسلمين العرب. كان أبو القاسم الزهراوى (٩٣٦) كاتبا أصيلاً فى الطب. وتعد كتاباته عن الجراحة والأدوات الجراحية، التى اخترع ووضح كثيرًا منها فى كتبه، من أبرز الإسهامات العربية فى ذلك المجال بالطب. كما اعتبر العديد من فلاسفة إسبانيا من الأطباء البارعين، أمثال ابن رشد (١١٢٦-١١٩٨) وابن زهر (١١١٣-١١٩٩) وكذا العالم اليهودى ابن ميمون (١١٣٥-١٢٠٨) الذى درس فى إسبانيا وأصبح مؤخرًا طبيبا خاصًا لصلاح الدين بمصر. كان ابن البيطار (ت ١٢٤٨) إسبانيًا، ولد فى بيانا بالقرب من ملقا ومات بدمشق عام ١٢٤٨ ودرس النباتات الطبية ويعد كتابه "دليل العقاقير النباتية البسيطة والأغذية الصحية" العمل لأشمل فى المادة الطبية فى الطب العربى.

وبالتالى أصبح جليًا أن القاهرة بعد فترة حكم المأمون، أصبحت مركزًا جديدًا للفكر العربى خاصة بعد تأسيس الأزهر، الذى أنشئ مع تأسيس الدولة الفاطمية. ومن مفاخر مصر أن عددًا ضخمًا من الكتب الطبية التى تعد الأولى من بين آثار العرب أصبح لها شأن عظيم بالقاهرة مثل كتب ابن رضوان (ولد ٩٩٨) التى تعاملت بشكل خاص مع الصحة العامة لمدينة القاهرة.

أخذ أطباء مدرسة بغداد يستوطنون بمصر أثناء عهد أحمد بن طولون، وكان من بينهم إبراهيم بن ليسا، والحسن بن زيرك وسعيد بن توفيل.

تميز موفق الدين عبد اللطيف البغدادى (١١٦٢-١٢٣١) من بين أولئك الذين مارسوا عملهم بمصر، وقد اعتاد أن يلقى محاضراته بالأزهر.

قدمت تسهيلات لتعليم الأطباء من قبل المستشفيات والمساجد المنشأة بالفسطاط، والتى أنشئت بالقاهرة، فيما بعد. تم التدريب على الطب بالقاهرة تبعًا لخطوات محددة غيرها ابن رضوان المصرى. درس الطلاب الكتب الـ ١٦ لجالينوس كما درسوا كتب الرازى، وابن سينا وأمثالهما.

أظهر الطبيبان عمار بن الموصلى وابن البيطار موهبة فائقة بمصر، فهما بمثابة وسام شرف للطب العربى. وبداية أصبح واضحًا أن مدرسة القاهرة كانت معتمدة فى البداية على مدرسة بغداد، ومدرسة الأندلسيين، إلا أنها جاهدت بعد ذلك للاستقلال وأخرجت أطباء موهوبين أثروا المعرفة الطبية.

ظهرت المستشفيات أو المارستان لأول مرة فى الإسلام فى عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان الذى اشترط أن المريض، بعد السماح له بدخول المشفى، يجب أن يُجرد من ملابسه وتحفظ ثيابه عند خازن المارستان، ثم يُكسى، ويمنح فراشًا، ويطعم، ويداوى بالعقاقير، وينلقى الرعاية الطبية حتى يُعافى. ويتحقق شفاؤه بقدرته على التهام دجاجة كاملة ورغيف خبز. ومن ثم يطلق سراحه ويعاد إليه ماله وثيابه.

كانت المستشفيات أثناء سيطرة المسلمين العرب الأولى فى تطوير الوظيفة والمفهوم الحديثين للمؤسسات الحقيقية المنشأة لرعاية ومداواة المرضى من الجنسين، نساء ورجالاً. ويستطيع المرء أن يجد فى تلك المستشفيات، المنشأة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، المفاهيم الحديثة لعزل الجنسين أو مختلف أشكال الأمراض "وبخاصة الأمراض المعدية"، والحمى، والاختلال العقلى، فى أجنحة شتى.

المرحلة الثالثة: قدر العلماء الأوروبيون المهتمون بالعلوم والفلسفة فى القرن الثانى عشر مدى احتياجهم للتعلم من المخطوطات العربية، ومن ثم ترجمت إلى اللاتينية. ويعد قسطنطين الإفريقى (١٠٢٠-٨٧) أقدم اسم فى تلك المرحلة، أى مرحلة الترجمة من العربية للاتينية، حيث كان تاجرًا يتاجر بالعقاقير ويسافر فيما بين تونس وإيطاليا الجنوبية. وقد قضى الجزء الأخير من حياته بدير الراهب بنيديكتى بمونتى كاسينو، وترجم إلى اللاتينية الأعمال الطبية التى درسها؛ ومن بينها الكتاب الملكى للمجوسى. كما كان جيرارد أف سريمونا مترجمًا إيطاليًا عظيمًا جاء إلى توليدو.

تجدر بنا الإشارة إلى أن اتجاه أوروبا فى العصور الوسطى نحو المسلمين العرب كان مزيجًا من الخوف العميق والإعجاب مصاحبًا بالإقرار بتميزهم. وتراجع هذا الخوف بعد استرداد الأراضى فى إسبانيا والحروب الصليبية فى الشرق. بينما استمر الإعجاب والاعتماد على الاكتشافات العلمية للمسلمين العرب لعدة قرون.

أنشأ الصليبيون مستشفيات ومدارس طبية جديدة بالإضافة لما سبق بناؤه بساليرنو ومونبيليه متبعين فى ذلك الطراز العربى حيث الأجنحة المعزولة للأمراض المعدية، والأطباء المقيمون دائمًا. ولم يتلق الطلبة بأوروبا تعليمًا عمليًا بأحد المستشفيات. وظل كتابا "الحاوى" للرازى و"القانون" لابن سينا مراجع للطب الأوروبى خلال القرن الـ ١٥ والـ ١٦.

وتوصل مونتجومرى وات خلال فحصه لإنجازات العرب فى مجالى العلوم والفلسفة فى كتابه "تأثير الإسلام على أوروبا بالعصور الوسطى" للملاحظة الآتية: "إنه عندما يعى الفرد الحد الكامل لتجربة العرب، سواء فى الفكر العربى أو الكتابة العربية، فإنه يلحظ أنه لولا العرب لما تطورت الفلسفة والعلوم الأوروبية حينذاك. كما لم يكن العرب مجرد ناقلين للفكر اليونانى، بل رسلا صادقين، حافظوا على النظم التى تعلموها ووسعوا مداها".

كان الطبيب المسلم عالمًا فيلسوفًا منغمسًا بالتفكر، والبحث الطبى، والكتابة وذلك خلال القرن العاشر، أى خلال "العصر الذهبى" لطب العرب. بينما ندر وجود أمثال هؤلاء العلماء بالعالم العربى بحلول القرن السادس عشر. ومع ذلك، كتب بروسبر البن تقريرًا بعد سفره لمصر (١٥٨١ إلى ١٥٨٤م) موضحًا فيه: "أن مصر تمتلك عددًا طيبًا من الأطباء الممارسين، من كلا الجنسين، ليس بالقاهرة فحسب بل فى جميع أنحاء الوطن".

* * *

لقد أفسح التاريخ المجيد للطب بمصر المجال لفترة من الركود خلال الوجود العثمانى لمصر. استمرت فترة الركود هذه حتى مجئ محمد على (١٨٠٥-١٨٤٨) وتبنيه لسياسة صحية، عززها عزمه على حماية الجيش والشعب المصرى من التأثير الضار للأوبئة.

إن مهنة الطب التى ظهرت بمصر خلال القرن الـ ١٩ كانت فى حقيقة الأمر نتاج كل من التأثيرات التقليدية والحديثة. وبتقديم الإصلاحات الطبية، كان الخبراء أوربيين، وبخاصة من الفرنسيين والإيطاليين. وهناك تقليد بمصر منذ

زمن طويل متعلق بالصحة، والخدمات الطبية، والأطباء، والنقابات، بالإضافة للتعليم والبنية التحتية التعليمية وهو ما لم يمكن التغاضى عنه أو تجاهله. لقد كان حقًا بمثابة أقدم اتجاه ثقافى وفلسفى للطب، والذى قدم الأسس للخدمات الطبية ولمهنة الطب بمصر الحديثة.

يعد كلوت بك بلا شك واحدًا من الأسماء البارزة فى التاريخ الطبى العربى المصرى. فقد أسس أول مدرسة مصرية صميمة للطب (١٨٢٧) والتى أسست من أجل إشباع الحاجات الطبية لمصر والعالم العربى. كلوت بك هو ذلك الرجل الذى أحضره محمد على من فرنسا كى يضع سياسة لخدمة الصحة المصرية، ويشرف على تنفيذها. ويعد بناء مستشفى عام ومدرسة بأبو زعبل من أهم إنجازات كلوت بك، ولكن أعظم تلك الإنجازات على الإطلاق كان تخطيطه وتنفيذه لتصير مدرسة الطب بتوظيف الخريجين المصريين المميزين وإرسالهم لبعثات للخارج.

ولمصر أهمية خاصة لكل من يدرس تأسيس الطب الحديث ومهنة الطب حيث سبقت مجهوداتها للإصلاح الطبى أى دولة أخرى بشرق أوروبا أو آسيا، بما فى ذلك اليابان. كما أن كلية طب قصر العينى اليوم، بجامعة القاهرة، والتى افتتحت عام ١٨٢٧ بأبو زعبل، لم تكن تعد أقدم مدرسة طبية فحسب بل إنها أكثر المدارس الطبية تأثيرًا بالشرق الأوسط. بدأ تطور العلم الطبى الحديث وخلق مهنة طبية بمصر والعالم العربى بفتح كلية طب قصر العينى، على يد محمد على باشا عام ١٨٢٧. وقبل ذلك الوقت كانت الحاجات الطبية تلبى من قبل المعالجين التقليديين، والحلاقين، والشيوخ، والقابلات، وقليل من الأطباء الأوروبيين. وبعد مرور خمسين عامًا وجدت مهنة الطب بمصر والعالم العربى، وقد مارس أعضاؤها الطب الحديث وذلك بعد سنوات طوال من الدراسة والتدريب بقصر العينى.

قدم الأستاذ الجامعى الإيطالى المشهور، دكتور روس، كتابه "Greographica Medica dell Egitto" لملك ايطاليا عام ١٨٦٩ والذى مدح فيه النظام الطبى بمصر والأساليب العلمية المستخدمة بالتعليم الطبى بقوله: "هؤلاء الأطباء الذين تزخر بهم مصر، بفضل رعاية واهتمام حكومتها، يشكلون الآن كيانًا طبيًا، يستحق كل الاحترام والتبجيل، وهو بلا شك يعادل أية مجموعة من الأطباء بأى مدينة بأوروبا".

وبعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢، لم تعد الحاجات التعليمية، والصحية تحتل المقام الأول من حيث الاهتمام. كما أدت الاستعانة بفريق تدريس أجنبى بمدرسة الطب إلى انتهاء عصر التعليم باللغة العربية، وبالتالى أصبح الالتحاق بمهنة الطب مقصورًا على الطلبة الذين عرفوا اللغة الإنجليزية.

وفى عام ١٩١٩، وعندما تحمل المصريون مزيداً من المسئوليات بمدرسة الطب، زاد عدد الطلاب بها. وقد أصبح الإشراف على المدرسة إشرافًا مصريًا، وأصبحت المدرسة جزءًا من الجامعة المصرية، وذلك عام ١٩٢٩. كما أعيد تطبيق نظام التخصص، وزادت بعثات الحكومة إلى أوروبا.

وقد عمل الأطباء فيما بعد بالمستشفيات الحديثة المجهزة بأحدث التكنولوجيا الطبية والمعدات. كما انضموا للمؤسسات المهنية الدولية واشتركوا بالمجلات المهنية. وفرضت عليهم قوانين عدة لممارسة مهنة الطب. علاوة على ذلك، فقد سافروا للجامعات الغربية لتعزيز معرفتهم بالطب، كما استوردوا تكنولوجيا أجنبية ومعدات طبية لكى يستخدموها أثناء مزاولتهم للمهنة. وبالرغم من مزاولة وقبول المصريين والعرب للطب الحديث لعدة عقود، إلا أن المعالجين التقليديين استمروا فى تقديم خدماتهم. إذ ظلت الداية التقليدية (وهى القابلة) بمصر فى كل من الريف والحضر؛ كما تمتع العطار (متخصص أعشاب) بشعبية هائلة بين كل من الفقراء والأثرياء. ووجدت المستشفيات بأعداد هائلة.

* * *

وفى ظل الأصولية، والتطرف، والراديكالية، والتعصب، والإرهاب، ربما يحين الوقت لنذكر أنفسنا بالتسامح والاعتدال بالإسلام كديانة، وكذلك بسعة الأفق والود المميزين لطبيعة الحضارة الإسلامية وأسلوب الحياة بالإسلام، والطابع العالمى للطب الإسلامى.

كان كثير من الأطباء فى بداية الإسلام من النسطوريين الذين تعلموا بجندى سابور، وقد خصص المؤرخ الشهير بالطب العربى، ابن ابى أصيبعة (١٢٠٣م-٦٩هـ)، فصلاً كاملاً بكتابه "طبقات الأطباء" لعمل قوائم بأسماء الأطباء المتحدثين

باللغة السريانية والذين ازدهروا أثناء حكم العباسيين الأوائل. وكانت عائلة بختيشوع المسيحية الأكثر تميزًا من بينهم، وبخاصة جبرائيل الشهير. وفى عام ٧٦٥، أصبح أفراد عائلة بختيشوع أطباء للخليفة، وانتقلوا فيما بعد إلى بغداد حيث لعبوا دورًا مهمًا بشأن الحياة الطبية فيها" كما خدم جبرائيل، حفيد جورجيس طبيبًا للخليفة الشهير ــ هارون الرشيد ــ وقد ساد مناخ من الدفء والود والاحترام والتفاهم المشترك ميز العلاقات بين الحكام المسلمين والعلماء غير المسلمين والأطباء من مختلف الأديان.

ومع كل ما سبق، راجت ترجمة الأعمال العلمية والطبية من اليونانية للعربية بشكل ملحوظ أثناء حكم الخليفة العباسى، المأمون، الذى يرجع إليه الفضل بهذا الشأن، حيث أنشأ بيت الحكمة الذى كان بمثابة مكتبة ومركز للترجمة ببغداد، كما أنفق أموالاً طائلة من أجل الحصول على المخطوطات اليونانية. فقد دفع وزن الكتب المترجمة ذهبًا. وكان معظم المترجمين مسيحيين نسطوريين يتكلمون باللغة العربية، والسريانية واليونانية. ويعد حنين بن إسحق (٨٠٩-٨٧٣) أكثر أولئك المترجمين بروزاً، وقد عرف فى اللاتينية" باسم Johannitius Onan أو حنين وطلابه، بمن فيهم ابنه اسحق وابن أخيه حبيش الذى ترجم أكثر من ثلاثمائة عمل يونانى بالطب والفلسفة إلى اللغة السريانية والعربية. ويعد حنين ذاته طبيبًا بارزًا أصدر العديد من الأعمال الأصلية، التى من أشهرها "المقالات العشر على العين". ويعد جالينوس الكاتب المفضل والأكثر حجية من بين كافة الكتاب اليونانيين. حيث قدر هو وسقراط تقديرًا عظيمًا من قبل الكتاب العرب، الذين طالما أشاروا إليهما بـ "الأكثر تميزًا" أو "الأكثر تفوقًا".

استمر العلماء والأطباء المسيحيون يلعبون دورًا مؤثرا بشأن التطور المتنامى للطب العربى. وأفضل ما يُعرف به ابن ربن الطبرى، الذى ولد حوالى عام ٨٥٠م، هو كتابه "فردوس الحكمة"، والذى اعتمد بشكل كبير على مصادر يونانية. كما كان ابن بطلان، الطبيب الرئيس لبغداد بالنصف الأول من القرن الـ١١، وكان ضليعًا بالأدب العربى والعلوم الإسلامية، بالإضافة إلى براعته بالطب اليونانى والفلسفة اليونانية، وقد خلف العديد من الكتب من بينها "نظام علم الصحة"

و"مأدبة الحكماء". ولقد سافر كثيرا، وأتى إلى القاهرة حيث شهد جدالاً ملحوظًا مع الطبيب الشهير، على بن رضوان.

ولقد كان للإسهام اليهودى للطب العربى أهمية بالغة أيضًا. وقد تم فحص تلك الإسهامات بعناية من قبل ماكس مايرهوف بمحاضرة ألقيت بالجامعة العبرية (بأورشليم بالقدس) عام ١٩٣٦. كما ضمت المحاضرة المئات من الأطباء اليهوديين الذى أظهروا براعتهم بالشرق. وكان ماسرجويه الأقدم من بينهم، والذى ترجم "الدليل الطبى" إلى العربية، بأمر من الخليفة، والذى يعد بمثابة خلاصة وافية تكونت من ثلاثين جزءًا أعدت من قبل الكاهن السريانى اهرون. وربما كانت تلك الخلاصة بمثابة أول كتاب طبى شامل يتداوله الأطباء المسلمون. وبعد مرور أكثر من قرن من الزمان، أى فى منتصف القرن التاسع، ولد إسحق بن سليمان الإسرائيلى (٨٥٠-٩٤١) بمصر. وقد وصف بـ "الطبيب اليهودى الأعظم فى العصور الوسطى". وقد خلف أربعة كتب وهى؛ "عن الحميات"، "فيما يتعلق بالتعريفات"، "عن البول"، و"حول العناصر الكيميائية". لاقت جميع تلك الكتب الأربع تبجيلاً بارزًا من قبل الأطباء العرب، وفيما بعد وقرها الأطباء الأوروبيون بعد ترجمتهم لها إلى اللاتينية على يد قنسطنطين الإفريقى. كما ترجموها أيضًا إلى اللغة العبرية. ومدح على بن رضوان، الطبيب المسلم الرائد بمصر بالقرن العاشر، كتاب اسحق "عن الحميات" مدحًا لا مثيل له بقوله: "هذا كتاب نافع للغاية وعمل رجل ذى جدارة نادرة".

وعلى الرغم من الحروب الصليبية التى نشبت فى جميع أنحاء الشرق الأوسط بذلك الوقت، إلا أن كثيرًا من الأطباء المسيحيين واليهود تولوا مناصب مرموقة. ينطبق ذلك على الأخص بمصر وسوريا تحت حكم الفاطميين، ومن بعدهم السلالات الأيوبية، حيث وثق خلفاؤهم بالأطباء اليهود وعينوا كثيراً منهم ببلاطهم الملكى. كما اتصل بالسلطان صلاح الدين ما لا يقل عن ٢١ طبيبًا فى خدمته، ثمانية منهم من المسلمين، ومثلهم من اليهود، وخمسة من المسيحيين. كان موسى بن ميمون Maimonides بلا شك الأشهر من بين الأطباء اليهود. وقد ولد بقرطبة عام ١١٣٥، وغادر إلى إفريقيا الشمالية ثم إلى فلسطين، وأخيراً استقر

بالفسطاط، التى تعد بمثابة ضاحية جنوبية بالقاهرة، وذلك عام ١١٦٥. وسرعان مالفت الانتباه، ومن ثم تم استدعاؤه لبلاط صلاح الدين وأبنائه. ويعد عمران بن صدقة أبرز الأطباء اليهود من بعد ميمون والذى عُين بمستشفى نورى العظيم الذى أسس بدمشق على يد السلطان نور الدين بن زنكى.

وبالإضافة إلى المسيحيين واليهود، الذين يعدون فى كل الأحوال من "أهل الكتاب"، كان هناك كثير من الأقليات العرقية والدينية الأخرى بالمنطقة الإسلامية الشاسعة الخاصة بالإسلام فى القرون الوسطى. وكان العديد من أفراد تلك الأقليات من الأطباء البارعين. فقد كان ثابت بن قرة من حران (٨٣٦-٩٠١) ينتمى إلى الصابئة العربية الموجودين فى بلاد ما بين النهرين، وهو مؤلف كتاب "الذخيرة فى علم الطب".

كان على بن العباس المجوسى فارسيا زرادشتيًا حقق شهره بالغة كطبيب ومؤلف للموسوعة الطبية، "الكناس الملكى". فطبقًا لقول المؤلف المشهور، دونالد كامبيل، أود فقط أن أستشهد ببضع سطور من كتابه "الطب العربى وتأثيره فى العصور الوسطى": "يكمن الاهتمام البالغ بمراكز العلم والطب العربى فى الحقيقة القائلة بأنه بينما كانت أوروبا منغمسة فى العصور المظلمة، شجع الخلفاء ببغداد وقرطبة التعليم وقدموه من جانبهم (مسلمين وغير مسلمين على سواء) إلى درجة أنه بقرطبة، والتى تمتعت بعصر ذهبى مماثل للعصر الذهبى ببلاد الروم القديمة، استطاع كل صبى وفتاة يبلغ الثانية عشرة من عمره أن يقرأ ويكتب، فى حين كان النبلاء والسيدات بالغرب يستطيعون بالكاد كتابة أسمائهم. كما رفع العرب منزلة مهنة الطب من كونها مهنة مهينة إلى منزلة المهن المتعلمة.

سبقوا فى تقديم تفسيرات مرتبة بانتظام فى كتاباتهم الطبية ومنحونا نظام الترقيم الخاص بهم والذى حوى كل شئ فيما عدا استبدال الأعداد الرومانية المربكة. كما طوروا فى علم الكيمياء (توفى جابر عام ٨٠٣م) حيث استخدم بالطب وكان لهم جل الأثر فى تحسين فن التقسيم وذلك بتقديم تلك الإعدادات الأنيقة كالزهور ومياه البرتقال. ويرجع الفضل للعرب فى تقديم فكرة المراقبة القانونية على امتحانات التأهيل للقبول بمهنة الطب. علاوة على ذلك، فقد أعطت المنحة الدراسية العربية

مسحة من الثقافة اليونانية للبلاد اللاتينية الغربية فى الوقت الذى عانت فيه الدول الأوروبية حالة من الجمود والتخلف فى الحياة الفكرية والثقافية.

"وباختصار فإن تاريخ الطب الأوروبى فى أواخر العصور الوسطى هو تاريخ تأثير العلماء والفلاسفة المسلمون العرب على أوروبا بالعصور الوسطى".

* * *

لقد حاولت، فى السطور السابقة، أن ألقى الضوء على إسهامات غير المسلمين فى الطب العربى الإسلامى بالعصور الوسطى فى ظل هيمنة الثقافة الإسلامية العربية. فقد كان التسامح أو بمعنى آخر قبول الاختلاف بالآخر هو المناخ السائد والذى يعد بمثابة مذهب أساسي بالفكر الإسلامى.

يقول الله تعالى، مخاطبا المسلمين: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

obeikandl.com

العلاقة التاريخية
بين
إيطاليا وجامعة القاهرة

تحرص الدول ذات الحضارات العريقة على استقاء فنونها من مصادر متعددة وينابيع مختلفة تستكمل بها نهضتها، وتعلى بها صروح مجدها.. وقد اهتمت مصر منذ العصر الفرعونى بتوسيع دائرة ثقافتها، وتشعبت جذور فنونها فى رقعة أوسع من أرض الكنانة نفسها، إذ امتدت إلى اليونان للنهل من فلسفتها، وإلى أرض العروبة قبل أن يجيئها الإسلام، كما استقت من شمال إفريقيا فيضاً من روح الإسلام فى العصر الفاطمى، مما أضفى على بلادنا صفة العالمية.

وفى العصر الحديث، هبت رياح الحضارة الغربية على مصر، وتنوعت روافد التقدم من دول أوروبا التى شهدت أراضيها نهضة ملموسة، لاسيما فرنسا وإيطاليا وإنجلترا.. والتى كان لها أكبر الأثر فى إحداث نهضة على أرض مصر منذ نهاية القرن الثامن عشر.. إذ التقط محمد على باشا خيط التقدم ليقيم دولة حديثة فى البلاد، بتوطيد الصلة بيننا وبين العالم الأوروبى، كما تجلى ذلك بوضوح فى عهد الخديو إسماعيل الذى حرص على أن يجعل من العاصمة "القاهرة" مرآة لانعكاس الفن الأوروبى، بل صارت اللغة الإيطالية هى اللغة الرسمية للدبلوماسية.

ولإيطاليا دور مهم فى الحركة العلمية والثقافية والفنية والمعمارية فى مصر الحديثة، إذ أرسل محمد على باشا أول بعثة إلى أوروبا ــ وخاصة إيطاليا ــ فى أوائل القرن التاسع عشر لتعلم فنون الطباعة الحديثة هناك، وعندما عادت البعثة إلى مصر أوكل إلى أحد أفرادها (مسابكى) بناء المطبعة الأميرية برملة بولاق، ومنح بعدها رتبة الباشوية.. كما شيد الإيطاليون مصلحة البوسطة المصرية، ولبعضهم دور بارز فى بناء معالم العاصمة "القاهرة الحديثة"، إذ أشرف المهندس الإيطالى "بيترو أفوسكانتى" على بناء دار الأوبرا المصرية على مثال طراز أوبرا (إمساكا) الإيطالية. وكلف الخديو إسماعيل الموسيقار الإيطالى "فيردى" بتأليف موسيقى (أوبرا عايدة).. وقام المهندس الإيطالى "جيوسيبى كاروزو" وابنه بإنشاء

دار الآثار المصرية وقصر عابدين وفندق شبرد القديم ومحطة الإطفاء بميدان العتبة الخضراء.. وقامت شركة (جاروزو زافارانى) الإيطالية ببناء متحف الآثار بالقاهرة.

كما قام المهندسون الإيطاليون ببناء قصر السكاكينى باشا بغمرة والذى يعد حاليًا لاستضافة المتحف القومى لتاريخ الطب.. وشارك المعمارى الإيطالى (كارلو فيرجيليو سيلفاجنى) فى بناء مسجد الرفاعى، كما أسهم الإيطاليون فى تصميم مبانى الجامعة المصرية. ولهم إسهام واضح فى تأسيس المدرسة الطبية فى أبو زعبل ١٨٢٧. وكتب الطبيب الإيطالى الشهير روس (Dr.Ross) كتابًا بعنوان (Geografica Medica dell Egitto) قدمه لملك إيطاليا عام ١٨٦٩ أشاد فيه بالنظام الطبى المصرى.

وفى عام ١٩٠٧، بلغ عدد الإيطاليين المقيمين فى مصر ٣٤.٩٢٦ إيطاليا وهو عدد كبير بالمقارنة بتعداد سكان مصر فى ذلك الوقت، ثم ارتفع هذا العدد إلى مايربو على ٥٠.٠٠٠ نسمة فى مصر قبل الحرب العالمية الثانية.

وقد أنشئت فى أوائل القرن العشرين مدرسة الفنون الجميلة المصرية، تلاها مدرسة للفنون والصنائع السلطانية (التى أصبحت كلية الفنون التطبيقية)، وأدار هاتين المدرستين أساتذة من إيطاليا وفرنسا وإنجلترا.

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٠٦ أصدرت لجنة الجامعة المصرية بيانًا بالغرض من إنشاء الجامعة؛ جاء فيه:

"ولما كان العلم يسير مع الفن جنبًا إلى جنب، فقد قررت اللجنة أيضًا استحضار أحد الأساتذة من البارعين فى إيطاليا ــ وهى معدن الفنون فى القديم والحديث ــ ليقوم بتدريس تاريخ الفنون، ويوقف المصريين على أساليب الأمم فى هذا السبيل، ويرشدهم إلى ما وصل إليه الغرب فى هذا الشأن، خصوصًا فى مصر وصقلية والأندلس وغيرها من بلاد الغرب، التى كان للإسلام فيها أعلى منار.

والذى دعا اللجنة لاختيار الأستاذ من إيطاليا أنها شبيهة بمصر فى كونها لها فى القديم تاريخ مجيد، وأنها كانت مصباحًا للمعارف فى سالف الأزمان، ثم أضنت عليها الأيام فسقطت إلى الحضيض، ولكنها تنبهت من رقودها وأفاقت من غفلتها فأخذت بأسباب النهضة العلمية الفنية حتى ارتقت إلى مكانة يغبطها عليها

كثير من الأمم، فجعلت تتحراها فى هذا الباب، ومصر الآن فى أيام نهضة علمية، فلا جرم أن تتشبث بها لتصل إلى ما تبتغيه من الرقى بأيسر الأسباب".

ولما كان الأمير أحمد فؤاد قد شب وتربى فى إيطاليا فقد عين المحامى الإيطالى أوجو لويزينابك (Ugo Lusena Bey) فى مجلس إدارة الجامعة. وكان الملك فيكتور عمانويل الثالث على عرش إيطاليا، فقد ساعد الجامعة ماديًا. وبالرغم من أن الآداب الإيطالية لم تكن تدرس فى الجامعة مثل الأدب الفرنسى والإنجليزى، فإن إيطاليا أمدت الجامعة بالمستشرقين مثل اجنازيو جويدى، وكارلو نالليو، ودايفيد سانتيلانا الذين كانوا يحاضرون باللغة العربية عن مواد عربية وإسلامية، أما جيرالدو ميلونى فكان يحاضر عن الشرق القديم. وقد اعترض المسيو ماسبيرو مدير الإنتيكخانة على كثرة الأساتذة الإيطاليين، وكان رد الأمير أحمد فؤاد أن الحكومة الإيطالية تدفع مرتبات الأساتذة الذين أعارتهم للجامعة المصرية.

وفى عام ١٩١٠ أوفدت الجامعة أول بعثة أطفال إلى إيطاليا، وأعضاؤها هم "سحاب رفعت ألماظ" (٨ سنوات)، "محمد قاسم أمين" (٩ سنوات + ٨ شهور)، "شديد حمزة" (٩ سنوات + ١١ شهرًا).

وقد أورد محضر اللجنة الفنية للجامعة المصرية ــ جلسة ١٩ أبريل ١٩١٠ ــ قول دولة الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة المصرية:

"فإنى خابرت بصفتى الشخصية حكومة إيطاليا، ورجوت المسيو دمرتينو معتمدها السياسى فى مصر، أن يساعدنى هو أيضًا لدى حكومته للوصول إلى انتداب أساتذة من المستشرقين الإيطاليين لتدريس العلوم التى يعهد بها إليهم باللغة العربية، فى قسم الآداب المزمع إنشاؤه، وأن يستمروا فى الحصول على مرتباتهم الأصلية من حكومتهم، فى المدة التى يكونون بها فى خدمة الحكومة، وبهذه الطريقة لا يكلفون الجامعة إلا مرتبات يسيرة جدًا، فنستطيع بهذه الطريقة تنظيم قسم الآداب بما لا يتجاوز مواردنا الحالية. وقد بدأت بمخابرة حكومة إيطاليا لوثوقى من أن مساعى ستكلل بالنجاح، لما لى من المكانة عند جلالة ملك إيطاليا، التى أساسها العلاقات الودية التى كانت بين العائلة الملوكية وساكن الجنان المغفور له إسماعيل باشا والدى".

ثم تلا دولة الأمير خطابًا محررًا من المسيو دمرتينو المعتمد السياسى لجلالة ملك إيطاليا بمصر يبلغ فيه بصفة رسمية قبول الحكومة الإيطالية مطلب الأمير فؤاد، المتعلقة بإنشاء قسم للآداب سيندب فيه للتدريس باللغة العربية عدد من المستشرقين الإيطاليين:

تاريخ آداب اللغة العربية	الدكتور كارلو نليبو (الأستاذ بجامعة باليرمو)
علم مقارنة اللغة السامية	الدكتور ليثمان
تاريخ الشرق القيم	الدكتور جيراردو ملونى (الأستاذ بجامعة روما)
تاريخ التعاليم الفلسفية	الدكتور سانتيلانا

وقد تتلمذ عليهم الخريجون الأوائل من الجامعة المصرية، وسجلت تحت إشراف الدكتور كارلو نالليبو الأطروحة الأولى للدكتوراة فى الآداب العربية عن أبى العلاء المعرى، وقد أشرف بعد ذلك الدكتور طه حسين على إصدار كتاب عن محاضرات أستاذه الإيطالى فى الجامعة المصرية.

ومن بيان ألقاه الأمير "أحمد فؤاد باشا" رئيس الجامعة المصرية بتاريخ ١٥ مارس ١٩١١:

"وفى هذا العام نسر من جديد بما قررته حكومة الأمة الإيطالية بناء على طلبنا من قبول ثلاثة من أبنائنا كذلك فى أكبر معاهدها العلمية. ولقد كنت مدة وجودى بمدينة روما فى شهر يونيو من السنة الماضية موضوع حفاوة وإكرام من قبل صاحبى السعادة المسيو "لوتساتى" رئيس مجلس النظار، والمركيز "دى سان جيوليانو" ناظر الخارجية.. كذلك تفضل المسيو "كريدارو" ناظر المعارف العمومية فأجاب طلبى بإهداء متحفنا العلمى مجموعة كاملة من معادن إيطاليا، وهم هناك يعدون هذه المجموعة لإرسالها إلينا.

وقد تفضل جلالة الملك فيكتور عمانويل الثالث فهنأنى أحسن تهنئة بتقديم جامعتنا.. وأضاف إلى ذلك عناية جديدة من عنايته فأهداها كتابه المسمى "مجموعة النقود الإيطالية. ومن أجل ذلك شخصت أولاً نحو إيطاليا لما لجلالة الملك فيكتور عمانويل الثالث والحكومة الإيطالية من حسن التوجيهات المتكررة نحو جامعتنا، بفضل عناية جناب القوميزور "دى مارتينو" وكيلها السياسى عندنا، وللمعرفة العلمية التى قدمها لنا منذ البداية حضرات الأساتذة التليانيين الذين يتكلمون العربية، مثل جناب العالم الشهير (إيغنازيو جويدى) والأستاذ العالم (تلينو) المعروفين بين علماء المستشرقين.

وينبغى الانتفاع بقسم الكهرباء التابع لمتحفنا الطبيعى لأن الآلات الدقيقة المنضبطة التى يحتاجها هذا القسم قد أهديت إلينا ــ كما أخبرتكم فى السنة الماضية ــ من فيوضات حكومة جلالة الملك عمانويل الثالث، والتى ركبها فى مواضعها محل من أشهر المحلات الإيطالية الخصيصة بمثل ذلك".

وفى عام ١٩١٢ ذكر تقرير للأمير "أحمد فؤاد" رئيس الجامعة المصرية ألقاه أمام الجمعية العمومية للجامعة المصرية:

"ولقد قوبلت برومية بمثل هذه المقابلة من لدن حكومة جلالة ملك إيطاليا، ورجوت جنات المسيو كريدا وزير المعارف العمومية أن يأذن بقبول طفل رابع من شباب المصريين بمدرسة تورينو الأهلية، ليتعلم مجانا بالشروط التى قبلت بها ثلاثة أطفال فى مدرسة فيكتور إيمانيول الثانى بمدينة رومية، وقد أجيب إلى هذا الطلب. وزيادة على ذلك، أهدت لنا كل من وزارات الخارجية والمعارف والحربية والزراعة مطبوعات مفيدة، مع كمية عظيمة من الصور المنقولة من أصول محفورة على نحاس لتكملة المجموعة التى أرسل إلينا منها قسم كبير. ولقد وجدت بأوروبا فى سياحتى الأخيرة نهضة فى الأبحاث الشرقية، ففى مدينى نابولى قررت وزارة معارف حكومة إيطاليا أخيرًا إصلاح مدرسة اللغات الشرقية، وتفكر فى إنشاء معهد بمصر للبحث عن المشرقيات".

وجاء فى تقرير سمو الأمير "أحمد فؤاد" للجمعية العمومية للجامعة المصرية سنة ١٩١٢ ما يلى:

"تفضل فى شهر إبريل الماضى المسيو داتارى العالم الإيطالى الشهير المشتغل بالمسكوكات القديمة، فقدم لى مجموعة من النقود القديمة التى تربو على ستة آلاف قطعة تبتدئ من نحو سنة ٤٣٠ قبل الميلاد. وبالمجموعة عدد عظيم من القطع الرومانية التى ضربت فى عصر القياصرة إلى غاية العهد البيزنطى (القرن السابع الميلادى) وجميعها وجدت بمصر".

وهذه أغنى مجموعة فى بابها بعد مجموعة المتحف البريطانى. وذكر الخديو عباس الثانى فى مذكراته ص ١٦٠ أن هذه المجموعة تعتبر من المجموعات النادرة والتى تعود إلى العصور الفارسية واليونانية والمقدونية والرومانية والعربية فى مصر.

المكتبة المركزية بالجامعة المصرية:

وفى نوفمبر من عام ١٩٠٨ تقرر أن يعين أمين لكتب خانة والدفتر خانة بالجامعة المصرية، ووقع الاختيار على "فاجو" الإيطالى الجنسية، واستمر فى عمله حتى عام ١٩١٣. ثم قام أحمد بك لطفى السيد بالإشراف على المكتبة حتى عام ١٩١٧.

وقد ساهمت إيطاليا بإمداد المكتبة المركزية بالجامعة المصرية بنوادر الكتب والمخطوطات، حتى كلف وزير خارجية إيطاليا السيد (جور) الأستاذ بجامعة روما بإمداد الجامعة المصرية بكل ما تطلبه. وقد بدأ بإرسال اثنى عشر صندوقًا من الكتب التى قدمتها مؤسسات إيطاليا العلمية.. كما تفضل جلالة الملك عمانويل الثالث وأهدى الجامعة أربعة أجزاء من مؤلف (كوربس) وهى الأجزاء من ٥–٨ وجميع الأدوات اللازمة لإنشاء معمل طبيعة.

وعند إنشاء الجامعة الحكومية بالجيزة (جامعة القاهرة حاليا) تقرر إنشاء مكتبة مركزية على أحدث طراز فى بناء كبير مستقل خلف كلية الآداب، وقد تم هذا البناء فى شهر إبريل سنة ١٩٣١ وبلغت تكاليف إنشائها فى ذلك الوقت ٥٥٧٢٢ جنيها مصريًا، وألحق بها مخزنان كبيران يتسع كل منهما لخمسمائة ألف مجلد قامت بإعدادهما بالأرفف الحديدية وجميع وسائل الوقاية شركة عالمية كبرى.

وهناك مجموعة كاملة من الأوبرات والموسيقى الإيطالية ذات الشهرة العالمية أهدتها دار ريكوردى فى ميلان. إلى جانب مجموعة أعمال الفن الإيطالى من دار النسخ الملكية فى روما.

وجدير بالذكر أن هناك بالمكتبة المركزية لجامعة القاهرة ١٢٢ لوحة للفنان العالمى الإيطالى "جيوفانى باتيستا برنيزى" (١٧٢٠- ١٧٧٨م) وهو أهم فنانى إيطاليا فى تلك الحقبة.. وهذه اللوحات أهداها ملك إيطاليا إلى الجامعة المصرية. والفنان ج. برنيزى ولد فى فينسيا وعرف كحفار معمارى، وهو أهم فنان قام بحفر المناظر الخلوية المعمارية، وقام بحفر ونشر ١٣٥ عملاً مطبوعًا بين عامى ١٧٤٨_ ١٧٧٨ بعد أن صنع مجده فى العاصمة روما فى ذلك التخصص. وقد عرف برنيزى بطريقة استخدامه للضوء ومعالجته لتلك الكتل المعمارية.

وفى عام ١٩٢٩ تم استقدام أستاذين إيطاليين: أحدهما فى القانون، والآخر فى الأدب.

وقد حصل جلالة الملك فؤاد على (دكتوراه شرفية) فى القانون من جامعة روما، وعلى (عضو شرف) فى الجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية.

وقد منحت الجامعة المصرية الدكتوراه الفخرية لجلالة الملك فيكتور عمانويل وعين البروفوسير نالينو عضوًا فى مجموع فؤاد الأول للغة العربية. وأعاد جلالة الملك فؤاد المستشرقين للجامعة فى عام ١٩٢٥.

وبعد ثورة ١٩٥٢ فى مصر هاجرت معظم أفراد الجالية الإيطالية ولكن بالرغم من ذلك استمرت العلاقات الحميمة بين الشعبين المصرى والإيطالى حتى الآن، حيث يعيش فى إيطاليا الآن آلاف المصريين الذين يعملون فى مختلف المجالات، وقد دعت الحكومة الإيطالية الأستاذ الدكتور محمود المناوى ــ ممثلاً لجامعة القاهرة ومصر ــ للاشتراك فى المؤتمر الدولى المنعقد ٢٥- ٢٦ مايو ٢٠٠٧ فى فوجيا بإيطاليا ليلقى محاضرة عن صلاح الدين اسكولى العالم الإيطالى (القرن الخامس عشر) الذى قام بنقل التراث الطبى والصيدلى العربى والإسلامى إلى اللغة الإيطالية وهى بعنوان: "ARAB/ISLAMIC MEDICINE,

"MEDIAEVAL AND MODERN" الطبى العربى الإسلامى فى العصور الوسطى والحديثة".

وقد قوبل اشتراك جامعة القاهرة فى المؤتمر بحفاوة بالغة تبين مدى عمق العلاقة بين الشعبين المصرى والإيطالى.

هذا وقد توج هذا العالم ــ عام ٢٠٠٩ــ بالعام المصرى الإيطالى.

وبعد هذا السرد التاريخى عن العلاقة القوية المتميزة بين الشعبين المصرى والإيطالى على مدى أكثر من مائتى عام من التعاون المثمر، وبمناسبة العام المصرى الإيطالى... تقدمت باقتراح إنشاء قاعة تذكارية (تسمى قاعة إيطاليا) تدعم الصداقة المتميزة بين البلدين تكون ملحقة بالمكتبة المركزية التراثية بجامعة القاهرة (متحف الوثائق والمخطوطات والكتب النادرة) توضع بها الإهداءات التاريخية التى أهدتها إيطاليا للجامعة المصرية، ومنها المجموعة النادرة من الحفريات التاريخية (الجرافييرات) التى لا تقدر بمال، وهى للفنان الإيطالى برنيزى، وأن تقوم حكومة إيطاليا الصديقة بالمساعدة فى تصميم المتحف الجديد، وإنشاء مركز علمى متقدم لصيانة وتوثيق المخطوطات والكتب والوثائق القديمة.

obeikandl.com

إسهامات العلماء الألمان في الطب في مصر*

عندما تولى محمد *علي* باشا حكم مصر قام باستدعاء الفرنسي ***أنطون برتسيلي كلوت*** (Antonie-Barthelemy Clot) *[كلوت بك]* لإنشاء نظام حديث للطب في مصر.

وأنشئت مدرسة الطب عام ١٨٢٧ في أبو زعبل، وكان من بين طاقمها اثنان من العلماء الألمان هما ***برونر*** (Pruner) في عام ١٨٣٠ ***وفيشر*** (Fisher) في عام ١٨٣٤.

عارض الخديو *عباس الأول* النفوذ الفرنسي، فاستبدل بالعلماء الفرنسيين العلماء الألمان، وأحضر مجموعة متميزة من الأساتذة الألمان تباعًا وكان منهم ***جريسينجر*** (Griesinger) ***وبيلهارز*** (Bilharz) ***ولووس*** (Looss) ***وسيكنبرجر*** (Sickenberger) ***وكيبنبرجر*** (Kipenberger) ***وأشرسون*** (Ascherson) والكثير ممن حضروا لتدريب الطلاب والأطباء المصريين.

* ***فرانس برونر*** بك (Franz Pruner) هو أستاذ التشريح بمدرسة أبو زعبل في عام ١٨٣٢. ولاحقاً، في الفترة من عام ١٨٣٤ حتى ١٨٣٩، تولى منصب مدير مستشفى قصر العيني. وفي عام ١٨٤٠ حتى ١٨٤٦ عمل طبيبًا خاصًا *بعباس باشا* حفيد الخديو ومارس الطب في القاهرة. سُجلت عيناته وملاحظاته الطبية عن التشريح في كتاب "**أمراض الشرق من وجهة نظر علم تصنيف الأمراض**" (Die Krankheiten des Orients vom Standpunkte der vergeichende Nosologie) ونشر في إيرلانجن، وأيضًا كتاب بعنوان "**التضاريس الطبية لمدينة القاهرة وما يحيط بها**" (Topographic medicale du Caire avec leplan de la ville et des environs) ونشر في ميونخ. ونجد في ملاحظاته وصفًا للحالات الأولى لمرض البلاجرا التي وُجدت في مصر، وأيضًا علاقة مرض فقر الدم بداء الأنكلستوما. ومن بين المعلومات التي نشرها تسجيله بأن القوات التركية نقلت مرض الزهري المنقول جنسيًا إلى السودان، وأعاد اكتشاف وجود ديدان الأنكلستوما في الاثنى عشر فيما سمي بداء الاخضرار المصري وذلك قبل ست أو سبع سنوات من قيام ***بيلهارز وجريسينجر*** بتقديم السجل الأول عن السرسمية عند اثنين من الزنوج في مدينة القاهرة، توفي

---

* ألقيت هذه المحاضرة في ندوة: العام المصري الألماني، والتي عقدت في كلية الزراعة بجامعة القاهرة. وذلك على هامش الاحتفالات بمئوية الجامعة.

obeikandi.com

أحدهما بداء الصفاق، والآخر بالتهاب القولون التقرحي. وبشكل عام، سجل *برونر* أن الأسكارس والسرمية والمُسلكة شائعة للغاية بين المصريين.

* الدكتور ***ثيودور ماكسميليان بيلهارز*** (Theodore Maximillian Bilharz) (١٨٢٥-١٨٦٢) هو عالم ألماني اشتهر باكتشاف البلهارسيا، وعمل في مستشفى قصر العيني خلال فترة حكم *عباس الأول* وتوفي في مصر.

* ***ويلهلم جريسينجر*** (Wilhelm Griesinger) ولد في شتوتجارت عام ١٨١٧، وعُين مديرًا لمستوصف في مدينة كيل عام ١٨٤٥، ولكنه سرعان ما اضطر للمغادرة لأسباب سياسية وتولى ثلاثة مناصب هي: مدير مستشفى قصر العيني، ورئيس المجلس الصحي المصري، والطبيب الخاص بالخديو. عاد مرة أخرى إلى شتوتجارت عام ١٨٥٢ لاعتلال صحته. وخلفه ***ألكسندر رييسر*** (Alexander Reyer) مديرًا لقصر العيني وطبيبًا للخديو وهو أيضًا ألماني الجنسية. وفي الفترة ما بين ١٨٥٣ و ١٨٥٤، قدم **جريسينجر** في سنة ١٨٦٥ بعد عودته إلى ألمانيا مجموعة من المقالات تحت عنوان "**ملاحظات حول الأمراض في مصر**" (Beobachtungen Über Krankheiten in Agypten) الوصف الأول للحمى الراجعة في مصر. وتولى منصب مدير قسم الأمراض النفسية والعصبية في مستشفى شاريت ببرلين، وتوفي بسبب التهاب الزائدة الدودية عام ١٨٦٨.

* ***آرثر لووس*** (Arthur Looss) ولد في ١٨٦٧ ودرس في جامعة ليبزيج على يد ***لوكارت*** (Leuckart) الذي شُغل بدراسة دودة الأنكلستوما التي تصيب الكلاب. استقر في مصر عام ١٨٩٦، وانجذب بالفرص الموجودة لدراسة موضوعه المفضل.

في عام ١٨٩٨ عندما كان يضع يرقات الانكلستوما في أفواه خنازير غينيا، سقط عرضيًا بعض منها على يديه فلاحظ أنها سببت الحكة الجلدية.

ثم نفذ تجربته التالية على قدم ولد قبل ساعة من بترها، وأظهرت الأشعة المقطعية أن اليرقات قامت باختراق الجلد بشكل فعال.

واستطاع معرفة كيفية حدوث الالتهابات عن طريق ديدان الأنكلستوما.

وكان البروفسير ***ف. برجمان*** (V. Bergmann) أستاذًا للكثير من الأطباء المصريين. رأس الدكتور ***شاؤول*** (Chaoul) قسم الأشعة في مستشفى المواساة في الإسكندرية.

* ***ماكس ميرهوف*** (Max Meyerhof) **طبيب العيون والمستشرق:**

كان ***ميرهوف*** استكمالاً بارزًا لطابور طويل من العلماء الألمان المنخـرطين فى دراسة العلوم المصرية والعربية. ولد ***ماكس ميرهوف*** فى عائلة تتميز بوجود الكثير من العلماء والأطباء ومن بينهم الكيميائى الفسيولوجى ***أوتو ميرهوف*** (Otto Meyerhof) (١٨٨٤-١٩٥١) الفائز بجائزة نوبل فى الطب عام ١٩٢٢.

ومنذ ١٩٠٣ وحتى وفاته عام ١٩٤٥، عاش وعمل ***ميرهـوف*** فى مصر؛ ما عدا الفترة من ١٩١٤ وحتى ١٩٢٣.

ويمكن تقسيم حياة ***ميرهوف*** فى مصر لمرحلتين هما:

- منذ ١٩٠٣ حتى ١٩١٤، ركز على عمله طبيبًا للعيون.
- منذ ١٩٢٣ حتى ١٩٤٥، عمل مؤرخًا طبيًا.

وبعد وصوله إلى القاهرة فى أكتوبر ١٩٠٣، أسس ***ميرهوف*** عيادة خاصـة. وانتخب رئيسًا للجمعية المصرية لطب العيون لعامى ١٩٠٨/١٩٠٩.

نجح ***ميرهوف*** عام ١٩٠٨ فى العثور على اثنين من أقدم الكتب العربية عن طب العيون المحفوظة فى مكتبة تيمور باشا فى القاهرة، والمكتوبة فـى القـرن التاسع عشر على أيدى اثنين من أتباع العقيدة النسطورية، وهما فى الواقع اثنـان من رواد طب العيون العربى. الأول هو الأقدم كتابةً بعنوان "دغل العـين (Kitab Daghal Al-àin) *لابن ماسويه* (٧٧٧-٨٥٧م)، والثانى هو "عشر مقالات فى العين" (Kitab Al-Ashar maqalat Fi alàin) والذى كتبه تلميذ ابن ماسويه وهو *حنين بـن إسحاق*، والذى عرف بشيخ المترجمين وخاصة فى الكتب الطبية.

وهناك مثال جيد على التعاون المصرى الألمانى: فى تعليقه على قانون *ابن سينا*، رأى ***ميرهوف*** أن *ابن النفيس* يتعارض مع آراء *ابن سينا* و*جـالينوس* حـول الـدورة الدموية فى القلب والرئة وحول الدم المار خلال المسام الظاهرة والخفية فـى حـاجز القلب، ثم تابع تطوير نظريته حول الدورة الرئوية. وتم تعديل النص العربى المتعلـق بهذا الموضوع بواسطة طبيب مصرى وهو *التطاوى* فى صورة الرسالة الأساسية فى عام ١٩٢٤. ولسوء الحظ، لم تتم طباعتها. وتنقل *التطاوى*، وهو عضو فى الخـدمات الطبية المصرية، بين مدن محلية صغيرة ولم يعد قادرًا على استكمال اكتشافه. ولـذلك يرجع الفضل ***لميرهوف*** فى الحفاظ على اكتشاف *التطاوى* من الاندثار.

طُلب من ***باول ديبجن*** (Paul Depgen)، مدير معهد برلين لتاريخ الطب، تأكيد صحة نظرية *ابن النفيس*، فاستطاع ***ميرهوف*** تأكيد أطروحة *التطاوى* وقدم الدليل على ادعائه بأن ابن النفيس عرض نظرية الدورة الرئوية قبل أن يعرضها ***مايكل سرفتس*** (Michael Servetus) (١٥١١-١٥٥٣) فى عام ١٥٥٣ أو قبل ***ريالدو كولومبو*** (Realdo Colombo) فى عام ١٥٥٩ فى كتاب "إعادة التشريح" (De Re Anatomica). ثم أكد ***ويليام هارفى*** (William Harvey) نظام الدورة الدموية بأكمله. من ثم يعتبر *ابن النفيس* أحد النخبة الذين سبقوا ***ويليام هارفى*** من وجهة نظر ***ويليام هارفى*** وأعظم الفسيولوجيين فى العصور الوسطى.

ومثلما فعل ***كلوت بك*** الفرنسى فى الفترة ١٧٩٣ حتى ١٨٦٨ أى قبل نصف قرن من وجود ***ميرهوف***، كان دور ***ميرهوف*** الرئيس فى طب العيون المصرى هو نقل التقدم الغربى للدول الشرقية. حضر ***ميرهوف*** وهو يفخر بالطب العلمى الألمانى الذى وصل لمصر. كانت فكرة ***ميرهوف*** المثالية هى المساعدة فى بناء فهم وتعاون جديد بين الشرق والغرب، بدءًا من التراث الثقافى الشائع للقرون الماضية.

هذا وقد منحه الملك *فؤاد* ميدالية النيل. وبدون أى نية للعودة إلى موطنه، حصل ***ميرهوف*** على الجنسية المصرية فى ١٩٣٦.

*** روبرت كوخ (Robert Koch) وبحثه حول الكوليرا فى مصر:**

فى ١٨٨٣، بينما كان ***كوخ*** لا يزال يواصل فحوصاته حول السل الرئوى، وصلته أخبار عن تفشى وباء الكوليرا الآسيوية. وتضررت ألمانيا بشدة من الكوليرا فى ١٨٦٦ حيث توفى فى بروسيا بمفردها ١١٤٦٨٣ شخصًا و ٦٠٠٠ فى برلين. وفى عام ١٨٨٣، وصل المرض إلى القاهرة وهاجم جميع أنحاء مصر.

ائتمنت الحكومة الألمانية ***كوخ*** على رئاسة فريق بحث علمى فى مصر والهند لكشف سبب هذا المرض الغامض، وفى نفس الوقت محاولة وضع وسائل حماية فعالة ضده. تضمن فريقه الجراح ***ماجورس جافكى*** (Majors Gaffky) ***وفيشر*** (Fischer) ***وكرسكو*** (Creskow) وهو أستاذ فى الكيمياء التحليلية. وفى ٢٤ أغسطس ١٨٨٣، وصل ***روبرت كوخ*** إلى الإسكندرية وواصل إجراء فحوصاته على جثث الموتى بسبب الكوليرا فى المستشفى اليونانى.

أرسل ***جافكى***، مساعد ***كوخ***، تقريرًا مفصلاً حول العمل المكثف للجنة الألمانية إلى وزارة الصحة فى برلين. وفى تقريره المرسل فى ١٧ سبتمبر

١٨٨٣ من الإسكندرية إلى وزارة الصحة، ذكر ***كوخ*** أنه لاحظ فى جميع الحالات وجود بكتريا معينة على شكل خرطومى فى غدد الغشاء المخاطى المعوى. وهذه البكتريا يمكن العثور عليها بأعداد كبيرة توجد فى الطبقات العميقة المخاطية بل وأيضًا اخترقت جدار العضلات. ولا شك أنه فى تقرير السابع عشر من سبتمبر عام ١٨٨٣ وصف ***كوخ*** العصوية المسببة لبكتريا الكوليرا "الضمّة الكوليرية".

وخلال إقامته فى مصر، عمل ***كوخ*** فى مجالات أخرى مثل التهاب ملتحمة العين المعدى حيث وجد جراثيم فى إفرازات الغشاء المخاطى لأعين المرضى، وعُرفت "ببكتريا ***كوخ ــ ويكس***" وتعرف الآن باسم "مستدمية التهاب الملتحمة" وتنتقل عن طريق الذباب. ومع ذلك، لا يوجد ارتباط بين هذا المرض وبين الانتشار الواسع للتراخوما.

وبينما كان ***كوخ*** فى انتظار رد من برلين، قام بزيارة منطقة الحجر الصحى فى منطقتى القبارى والمكس بالإسكندرية وبالقرب من دمياط لكى يحصل على معلومات حول الظروف الصحية فى مدن كالسويس ودمياط، والتى ساعدت بدور مهم فى انتشار الوباء بسبب تجمع حجاج مكة فى هذه المدن.

أثناء رحلة ***كوخ*** إلى الهند، تمكن من إعادة تأكيد اكتشافه حول البكتريا على شكل عيدان من خلال المواد التى جمعها من مريض فى مصر. ومن الناحية المورفولوجية سميت هذه البكتريا "كوما باسيلس" (Comma-bacillus) وتعرف الآن "بالضمّة الكوليرية". ونتيجة لتوضيحه لمسببات الوباء الفتاك، قدم ***روبرت كوخ*** خدمة جليلة للجنس البشرى.

علماء المصريات الألمان والبرديات الطبية:

كان أولهم ***جورج إيبرس*** (George Ebers) الذى نشر أوراق البردى الطبية التى تحمل اسمه. وهناك الأستاذ ***إرمان*** (Erman) الذى نشر البرديات الطبية لبرلين.

كتب الأستاذ ***هيرمان جرابو*** (Hermann Grapow) عن علوم التشريح ووظائف الأعضاء والأمراض والتداوى فى مصر القديمة.

وهناك عالم متميز آخر وهو ***لودفينج كيمر*** (Ludving Keimer) الذى كتب عن النباتات الطبية، وبصفته عالم نباتات تمكن من دراسة النباتات المذكورة فى أوراق البردى المصرية.

ولكن قبل هؤلاء، فى بدايات استقدام العلماء الألمان، كان هناك العالم ***هينيريش بروجش*** (Heinrich Brugsch) الذى بدأ فى دراسة الدراسات الطبية لمصر الفرعونية عام ١٨٥٣ بمقالته "عن المعرفة الطبية لدى المصريين القدماء وأكثر المخطوطات الطبية المصرية فى المتحف الملكى ببرلين" (Uber die medizinischen Kenntnisse der altel Agypter und uber ein eltagyptisches medizinischces Manuscript im koniglichel Museum zu Berlin). ويعتبر نشر برديات ***إيبرس*** الشهيرة على يد كاتبها عالم المصريات ***جورج إيبرس***، أستاذ جامعة ليبزيج، خطوة مهمة فى مجال الأبحاث. كان ***أدولف إرمان*** (Adolf Ermen) مؤسس مدرسة علم المصريات ذائعة الصيت فى برلين من تلاميذ ***إيبرس***. وكان ***هيرمان جرابو*** رائد علم المصريات أحد تلاميذ ***إرمان***. تعاون ***جرابو*** مع اثنين من تلاميذه هما ***هيلدجارد فون دينيس*** (Hildegard von Deines) ***وولفهارت ويستندروف*** (Wolfhart Westendorf) لعمل دراسات حول الأعمال الطبية الكاملة لمصر الفرعونية.

قضى ***جورج شوينفورث*** (George Schweinfurth) ٥٠ عامًا فى مصر والمناطق التى حولها كعالم نباتات ومستكشف. طلب منه الخديو *إسماعيل* تأسيس جمعية للجغرافيا؛ تم افتتاحها فى الثانى من يونيو عام ١٨٧٥. وعينه الخديو أول رئيس لها. وبالتعاون مع ***باول أشرسون***، نشر ***جورج*** كتابه المعروف "المجموعة النباتية فى وادى النيل" (Flora in the Nile Vally). وفى عام ١٨٨٣ كتب مقالة عن "ما قبل التاريخ" للمعهد المصرى.

وينبغى علينا ألا ننسى ***فيرشو*** (Virchow) العظيم الذى كتب تقريرًا مثيرًا للإعجاب حول مدرسة قصر العينى فى عام ١٨٨٣، ولا يجب أن ننسى أيضًا ***وسيكنبرجر وكيبنبرجر وشميدت*** (Schmidt) الذين قاموا بالتدريس فى قصر العينى، وأيضًا الكثير من العلماء والأطباء الذين عملوا فى ذلك التخصص، والكثيرين الذى أداروا عددًا من أفضل مستشفياتنا ومن بينها مستشفيات "الراهبات" فى القاهرة ومستشفى أسوان.

* * *

ترك العلماء الألمان خلفهم أعمالاً وبصمات لا تنسى يمكن اعتبارها حجر الأساس للعلم والطب وأسلوب البحث الحديث فى مصر.

مُنحت الدكتوراة الفخرية من جامعة القاهرة لأربعة من العلماء الألمان وهم:

١ ــ الأستاذ الدكتور ***جورج كلاين*** (George Klein)، مدير معهد روبرت كوخ فى ١٩٢٨./١١/٢٧

٢ــ الأستاذ الدكتور ***فولبورن*** (Vollborn)، أستاذ علم الطفيليات بجامعة هامبورج فى ١٩٢٨/١٢/١١.

٣ ــ الأستاذ الدكتور ***إرنست بفيفر*** (Ernest Pfeifer)، أستاذ الباطنة والغدد الصماء فى ١٩٨١/١١/٢١.

٤ ــ الأستاذة الدكتورة ***أنيتا شافان*** وزيرة التعليم والبحث العلمى بألمانيا الاتحادية فى عام ٢٠٠٩.

obeikandl.com